الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم
كلية العلوم الإجتماعية
قسم العلوم الإجتماعية /شعبة الفلسفة

UNIVERSITE
Abdelhamid Ibn Badis
MOSTAGANEM

UNIVERSITE
Abdelhamid Ibn Badis
MOSTAGANEM

(Philosophie Générale)

قيمة علوم الإنسان في فلسفة" ميشال فوكو"

قراءة في كتاب "الكلمات والأشياء"

مذكرة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إعداد الطالبة:
مزياني أمينة.

تحت اشراف:
أ / سماحي بوحجرة.

السنة الجامعية: 2023/2024.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم
كلية العلوم الإجتماعية
قسم العلوم الإجتماعية /شعبة الفلسفة

(Philosophie Générale)

قيمة علوم الإنسان في فلسفة" ميشال فوكو"

قراءة في كتاب "الكلمات والأشياء"

مذكرة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إعداد الطالبة:
مزياني أمينة.

تحت اشراف:
أ / سماحي بوحجرة.

السنة الجامعية:2023/2024

شكر و تقدير

أفتتح محاولتي هذه في مسار البحث العلمي باسم الله العلي القدير و الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات حمدا يليق بجلال وجهه و عظيم سلطانه نشكره عز و جل على حسن توفيقه

في إنجاز هذا العمل المتواضع الذي أرجو أن يكون مقبولا و نافعا إن شاء الله.

فإن هذه الدراسة لم يكن لفصولها و مباحثها أن تكتمل إلا بتوفيق من الله و بمساعدة الأستاذ

المشرف " د.سماحي" الذي أشرف على عملي هذا و سهل لي الطريق في إكمال هذا البحث

فأتقدم له بجزيل الشكر.

كذلك لا أنسى أساتذة الفلسفة الذين درسوننا طيلة مرحلة الدراسة أوجه لهم جزيل الشكر على كل ما قدموه لنا طيلة مشوارنا الدراسي.

كذلك إلى كل قدم لي يد المساعدة سواء من قريب أو بعيد.

فألف شكر لكل من ساعدني و لو بكلمة طيبة ساهمت في تشجيعي لإنجاز هذا البحث.

إهداء

الحمد لله الذي وفقني لهذا و لم أكن لأصل إليه لولا فضل الله عليا.

الحمد لله الذي أنار لي دروب العلم و أعانني على إتمام هذا العمل.

أما بعد،أهدي هذا العمل المتواضع إلى من لا يمكن للكلام أن يعطيهما حقهما.

إلى أمي الغالية التي ساندتني طول دراستي حتى وصلت ما أنا عليه، التي ربتني وعلمتني معنى الصبر و التوكل على الله، وأعانتني بالصلوات و الدعوات.

إلى أبي الغالي الذي عمل بكد في سبيلي و علمني الكفاح و أوصلني إلى ما أنا عليه.

فالشكر لهما و أطال الله في عمر والديا الغاليين.

مقدمة

تحول موضوع الفلسفة واهتماماتها من فترة تاريخية إلى أخرى، ففي الفلسفة اليونانية انتقل الاهتمام بالكون والطبيعة من حيث الاهتمام بمنشأه وأصله إلى الاهتمام بالإنسان كمركز للتفكير الفلسفي مع السفسطائيين وسقراط، ثم اهتمت الفلسفة في القرون الوسطى باشكالية العلاقة بين الدين والفلسفة ونظرا للتحولات العميقة التي عرفتها المجتمعات الأوروبية والتي توجت بالنهضة الأوروبية، والتي كان من أهم مظاهره الإصلاح الديني ونتائجه على المعرفة العلمية منها خاصة، فشهدنا ما يسمى بحركة استقلال العلوم عن الفلسفة، وكان ذلك مع ميلاد العلم الحديث مع غاليلي، الذي دشن ميلاد المنهج العلمي القائم على الاستقراء وادخال الرياضيات إلى المنهج العلمي،للتوالى حركة الإستقلال المعرفي للعلوم عن الفلسفة، وفي القرن التاسع عشر وغداة صعود قوى اجتماعية جديدة، كالبرجوازية ومن ثم ظهور نظم اقتصادية وسياسية، جديدة تمثلت أساسا في الرأسمالية، عرف المجتمع الغربي أزمات حادة، مست المجتمع والفرد، وفي ظل هذه الأزمات ظهرت الشروط الموضوعية لميلاد علوم تعنى بدراسة الإنسان والمجتمع، حيث نشأت ما يسمى "العلوم الإنسانية"، كعلوم أحدثت قطيعة مع أنماط التفكير السابقة في الإنسان، المجتمع والتاريخ، لأنها اتخذت من النموذج الإبستميمولوجي لعلوم المادة، طريقا للدراسة العلمية للإنسان والمجتمع

ومنذ قيام هذه العلوم، لم تنفك عن التطور موضوعا ومناهجا، ونظرا لطبيعة موضوعها، نشأ جدل ذو طبيعة ايبستيمولوجية، يتمحور حول المكانة الإيبستيمولوجية لهذه العلوم بالقياس لمكانة علوم المادة، من حيث قابليتها للدراسة العلمية وكذا إمكانية تطبيق المناهج العلمية عليها، وصولا إلى قيمة نتائجها

ومن أبرز الإتجاهات التي عنيت بموضوع الإنسان والذات في انتاج المعرفة والتاريخ، نجد الإتجاه البنيوي، ولعل أبرز ممثليه الفيلسوف "ميشال فوكو"،وبغض النظر عن جدل تصنيف هذا المفكر في الإتجاه البنيوي، فإن مساهمته في النقاش الإيبستمولوجي حول قيمة الإنسان وموقعه في إنتاج المعرفة والتاريخ، بما في ذلك انتاجه لمعرفة علمية حول ذاته تعد مساهمة أساسية، أثارت الكثير من الجدل والنقاش، خاصة أطروحته حول موت الإنسان من

أجل ذلك نحاول من خلال هذا العمل، مقاربة تقييمه لعلوم الإنسان من حيث موقعها في خريطة تشكل العلوم، ومآلها ومصيرها، وذلك من خلال قراءة في مؤلفه الأبرز في هذا المجال، ألا وهو كتاب "الكلمات والأشياء"، من أجل ذلك كانت إشكالية بحثنا هذا تتمركز حول قيمة الإنسان ومكانة العلوم الإنسانية في فلسفة ميشال فوكو، وذلك من خلال السؤال المركزي التالي:

ماقيمة ومكانة الإنسان والعلوم الإنسانية في فكر ميشال فوكو؟

تحليلا لهذه الإشكالية ومحاولة منا لحلها، هيكلنا دراستنا هذه إلى الفصول والمباحث التالية:

"الفصل الأول" فصل منهجي تطرقنا فيه إلى أهم المفاهيم منها"الأركيولوجيا،الجنيالوجيا،الإبستمي"وتحدثنا فيه أيضا عن المنهج المستخدم في البحث ثم انتقلنا إلى "الفصل الثاني" بعنوان " الوضعية الإبستمولوجية لعلوم الإنسان" إذ هذا الأخير قسم إلى ثلاث مباحث رئيسية " المبحث الأول " تطرقنا فيه إلى علوم الإنسان من حيث الماهية مع تحديد موضوعها أما " المبحث الثاني " تناولنا فيه " السياقات المعرفية السوسيوثقافية لظهور علوم الإنسان" بداية من عصر النهضة إلى العصر الحديث ثم ختمنا هذا الفصل " بالمبحث الثالث" المعنون بالقيمة الإبستمولوجية لعلوم الإنسان " إذ تطرقنا فيه إلى أهم المشكلات الإبستمولوجية التي طرحها وجود الإنسان كموضوع للدراسة أو العلم وهي مشكلات من حيث الموضوع، ثم المشكلات من حيث المنهج، وأخيرا المشكلات من حيث قيمة النتائج، يعني موضوع ومنهج علوم الإنسان والمآل والمصير الذي سيحدث لهذه العلوم .

أما " الفصل الثالث" تحت عنوان " تفكير العلوم الإنسانيّة في النسق الفلسفي عند ميشال فوكو " إذا قسم هذا الفصل كذلك الى ثلاث مباحث تمثلت في المبحث الأول المعنون ب "بيوغرافيا" إذ تطرقنا فيه إلى التعريف بالفيلسوف الفرنسي " ميشال فوكو " وذكر أهم محطات حياته كدراسته وعمله وتكوينه ومؤلفاته وغيرها من الأمور الهامة، ثم انتقلنا إلى المبحث الثاني الذي عنون "بوضعية العلوم الإنسانيّة" تناولنا فيه مسألة المنهج والانتقال من الأركيولوجيا إلى الجنيالوجيا، ثم تحدثنا عن الإنسان في فلسفة" ميشال فوكو" وذكرنا فكرة

موت الإنسان لديه، ثم ختمناها بالمبحث الثالث و الأخير الذي هو "أركيولوجيا العلوم الإنسانيّة" بمعنى قراءة في كتاب " الكلمات و الأشياء"

ثم ختمنا بحثنا ب خاتمة ألممنا فيها جميع جوانب البحث .

أهمية الموضوع:

من خلال ما أتينا عليه في هذه المقدمة يتبين لنا أن الموضوع ذو أهمية ايبستيمولوجية ومنهجية بالة،اذ أننا نستهدف من خلاله تحقيق الأهداف التالية:

1_أن نعرف السياق التاريخي والسوسيوثقافي الذي نشأت فيه علوم الإنسان

2_أن نبرز أهم الإشكاليات التي نتجت عن وجود علوم الإنسان

3_أن نعرف كيف قاربت البنيوية من خلال فوكو مكانة الإنسان وقيمة العلوم الإنسانية

4_أن نمارس قراءة نقدية لعمل فوكو المهم،الكلمات والأشياء

الصعوبات و المعيقات :

ضيق الوقت واحتواء البحث على جوانب تاريخية وفلسفية مختلفة تقتضي المزيد من الوقت والتركيز للإلمام بالجوانب المذكورة دون تقصير .

الحاجة إلى اكتساب المزيد من القدرات لفك بعض المفاهيم الفلسفية الحديثة التي استعملها "ميشال فوكو" في طرحه المتعلق بنظريته في موت الإنسان .

الفصل الأول

المبحث الأول : شبكة المفاهيم

المفاهيم :

لقد وظف الفيلسوف" ميشال فوكو "عدة مصطلحات ومفاهيم في العديد من مؤلفاته من بينها لدينا: الأركيولوجيا، الجنيالوجيا، الإبستيمي (الإبستيمية)، و سنقوم بشرح وتوضيح هذه المفاهيم .

الأركيولوجيا:

الأركيولوجيا كما هو معروف فرع علمي يهتم بدراسة الحضارات القديمة من حيث الآثار وغيرها.. لكن الفيلسوف الفرنسي" ميشال فوكو" استخدم هذا المصطلح بشكل مغاير ومختلف تماما أو مجازي، إذ لهذا المصطلح أهمية خاصة عند" فوكو" فهو من بين المصطلحات التي ابتكرها بغية البحث العميق الذي ينبش أو يحفر عن جذور العقائد والنصوص والنظريات لمعرفة كيفية تشكلها ونشأتها، فالأركيولوجيا عند "ميشال فوكو" تتخطى محتوى التنقيب والبحث عن الآثار والحفريات التاريخية .

فكلمة" أركيولوجيا "تعني علم الآثار، اي ذلك العلم الذي يبحث في الآثار المادية للحضارات المندثرة، عن طريق الحفريات حيث يقوم بدراستها وتحليلها وتركيبها .

و كلمة أركيولوجيا (علم الآثار) مشتقة من اللفظ اليوناني اركية أو ارخايوس الذي يعني «القديم» و نحن نعرف أن دراسة الآثار القديمة تستلزم القيام بحفريات، من اجل استخراج آثار الماضي من طوايا الأرض، والعمل على إعادة تركيب تاريخ الحضارات القديمة، و لكن فوكو لا يستخدم هذا الاصطلاح في هذا المعنى المعروف، بل هو يرمي أولا وبالذات إلى دراسة« أرشيف» كل عص، ومن أجل الكشف عن المجال الابستمولوجي الذي يكمن خلف كل تجاربه ومعارفه ومناهجه[1] .

وبين أن فوكو لا يقصد بكلمة أركيولوجيا الحفر والتنقيب عما مضى ولكنه جعلها قاسما منهجيا مشتركا بين اغلب مؤلفاته، اذ تؤلف الأولى منها ما نستطيع تسميته

[1]د. عمر مهيبل، البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، ص142

بأركيولوجيا النظرة الطبية، ويؤلف كتاب« الكلمات والأشياء» أركيولوجيا العلوم الإنسانيّة، بينما تؤلف الأخيرة منها اركيولوجيا النظرة الجزائية.

المهم أن فوكو أراد أن يفتح مجالات طريفة ومتنوعة باعتماده على هذه الكلمة، ذلك أن المصطلح في حد ذاته يفترض أن هناك وقائع مخفية، سرية، يتحتم على المعرفة الفلسفية أن تتحمل مهمة الكشف عن أسرارها، وأن تبحث في أصولها وثوابتها من اجل الوصول إلى بنيتها المكونة[2] .

الأركيولوجيا هي الوصف المنهجي والنظم للخطاب باعتبار موضوعها، أنها تستلهم بأن خطاب المعرفة يمكن أن يدرس كظاهرة موضوعية ومستقلة، يكتب فوكو في كتابه" حفريات المعرفة"« لا تهدف الأركيولوجيا تحديد الأفكار والتمثلات والصور والموضوعات والهواجس التي تختفي وتظهر في الخطاب، ولكن الخطابات نفسها باعتبارها ممارسات تخضع لقواعد[3] »

الجنيالوجيا:

إن الحديث عن هذا المصطلح يمكن ربطه مباشرة بالفيلسوف الألماني" فريديريك نيتشه" على الرغم من أن هذا المصطلح لقد تم استخدامه من قبله بزمن طويل، إذا نجد الفيلسوف الفرنسي "ميشال فوكو" الذي تأثر بفكر هذا الفيلسوف الألماني "فريديريك نيتشه " إذا أخذ "ميشال فوكو" مصطلح الجنيالوجيا من عنده، إذ وظف هذا المصطلح كأداة لاحقة ومكملة لمهمة" الأركيولوجيا "، معنى ذلك أن"فوكو" وظف مصطلح الأركيولوجيا والجنيالوجيا بغية معرفة كيف تشكل الخطابات السلطوية، فالأركيولوجيا تحفر فيما اختفى من مفاهيم وأفكار حين تولد الخطابات، بينما الجنيالوجيا تتتبع الأفكار وشكلها بين مختلف الخطابات السلطوية، كمثال توضيحي لقد كتب" ميشال فوكو "عن الجنون في العصر الكلاسيكي ووضح كيف تغير هذا المفهوم من زمن إلى آخر بداية نجد من عصر النهضة مرورا بالعصر الكلاسيكي وصولا إلى العصر الحديث، هذا التغير الذي طرأ جعل ميشال فوكو"

[2]المصدر نفسه: ص143
[3]ميشال فوكو، حفريات المعرفة، ص132

يتساءل لماذا تغير مفهوم الجنون بين هذه الفترات يا ترى؟ وكذلك لماذا تغيرت نظرة المجتمع للمجنون؟ من هنا يجيب " ميشال فوكو "بان الخطاب السلطوي هو الذي تغير إلى غير ذلك ...

وكتعريف لهذا المصطلح يمكننا تعريفه لغة واصطلاحا :

لغة :

تطلق لفظة جينيالوجيا على سلسلة النسب" علم الأنساب "فهي مركبة من الكلمة اليونانيةGENEA وتعني عرق،وLOGY وتعني علم

وهناك من يرى أن كلمة جينيالوجيا تتكون من حيث اشتقاقها من كلمتي مصدر "جينيوس " و" لوغوس"، وتستخدم في اللغة العامة للدلالة على علم الأنساب، إلا أن استخدامها الفلسفي قد تغير بعض الشيء وخاصة في كتابات "نيتشه' الذي حولها إلى البحث عن مصادر القيم والأخلاق[4] .

اصطلاحا :

جاء في قاموس الأنثروبولوجيا هي شجرة النسب، رواية شفهية، أو وثيقة مكتوبة معترف بمحتوياتها تسجل أباء فرد أو جماعة... فهي مباحثة في الأصول و سعي جاد في الكشف عن القوى المتسببة في التحول و التغير و الانعطاف .

و تدل الجنيالوجيا في معناها المباشر إلى" دراسة نشأة الشيء و الوقوف عند الأصل الذي صدرت عنه الظواهر[5]"

و الجنيالوجيا منهجية في البحث تعمل على الكشف عن المفاهيم التي تتوارى وتختفي، وهي عودة إلى طباع الأسلاف التي ابتعدت عنها الأنسال السابقة، وراثة الأفكار والتصرفات المنحدرة من الأجيال الغابرة و الأجيال المقصودة هنا تحديدا شعب الإغريق الأكثر عراقة، شعب الفلاسفة الأروع تعاطيا مع الفكر والحياة، الفلسفة ابتداء من أفلاطون إلى هيغل تبدو حلقة مفرغة كرست جهودها في تمثلات بلوغ الإنسانيّة مرحلة غاية الكمال، خليها ماما و

[4] WWW,MAREFA, org2018
[5] الإعلام الإلكترونية، 2017،صفحة 01

الجنيالوجيا قبل كل شيء هي مؤلف نيتشوي نقدي متميز بأبعاد ممتدة إلى ما يتجاوز النقد الحديث بكل ما أوتي من قوة، بل هو نقد للنقد بصيغتيه المثاليتين النقدية و الجدلية، أي الكانطية و الهيغلية[6] .

فالجينيالوجيا هي ذلك الإستبدال الذي فرضته الضرورة حيث كان من اللازم أن تتحطم تلك الآليات الكلاسيكية و تظهر الجنيالوجيا لتكريس النقد المزدوج: نقد الفلسفة كمحتوى، و نقد المنهجيات المتعالية كاستراتجيات .

الإبستيمي: (الإبستيمية).

إن الإبستيمي أو الإبستيمية أو النظام المعرفي كلها مسميات اذ هو مصطلح أو مفهوم فلسفي يعبر عن مجموعة من المعارف والمفاهيم التي تشكل نظاما معرفيا معينا في فترة زمنية محددة، إذ يعود هذا المصطلح للفيلسوف الفرنسي " ميشال فوكو " الذي استخدمه لتحليل كيفية تشكل المعرفة و أنظمة التفكير عبر التاريخ، إذ نجد في كتابه " الكلمات و الأشياء "أنه قدم مفهوم الإبستيمي ليوضح كيف تتغير الأطر المعرفية والفكرية على مر العصور، كما لابد من التوضيح بأن" الإبستيمي " ليس مجرد مجموعة من الأفكار أو النظريات بل هو طريقة شاملة للفهم والتفكير تهيمن على فترات تاريخية معينة ..

يقول " ميشال فوكو " « إن الإبستيمي إذن هو مجموع العلاقات المترابطة التي بإمكانها أن توحد في فترة معينة بين الممارسات الخطابية التي تفتح المجال أمام أشكال ابستيمولوجية وعلوم، إضافة الى ما سبق يمكن اعتبار الإبستيمي مجموعة العلاقات التي يمكننا الوقوف عليها في فترة ما بين العلوم حينما نحلل مستوى انتظاماتها الخطابية[7] «

و الإبستيمي أيضاً هو « مجموعة العلاقات التي يمكنها أن تجمع في مرحلة معطاة الممارسات المقالية التي تتضمن أوجه ابستمولوجية عدة في مجال العلوم المرتبطة بأنساق مكونة»، و من جهة أخرى هو ليس« شكلا من أشكال المعرفة أو نمطا من أنماط العقلانية يظهر وحدة موضوع البحث في فكر معين أو مرحلة معينة من خلال اختراقه لمجالات

[6]فريديريك نيتشه، في جينيالوجيا الأخلاق، تر: فتحي المسكيني، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس2010
[7]ميشال فوكو، حفريات المعرفة، ص176

العلوم المختلفة، بل هو مجموع العلاقات التي يمكن أن نكتشفها في مرحلة معطاة بين العلوم عندما نقوم بتحليلها في مستوى الانتظامات المقالية[8] «

أي أن الإبستيمي تعني مجموع المقولات الموضوعية التي تحدد الانفتاح على المعارف المختلفة في العصر الواحد، بمعنى آخر أن أي فكرة لا توجد هكذا في الفراغ في شكل مستقل منفصل عن باقي الأفكار الأخرى بل أنها تدور في فلك معين تتشابك فيه وتترابط مع أفكار أخرى، هذا الفلك يسمى بالمجال الابستمولوجي يقول فوكو:« في ثقافة معينة وفي لحظة معطاة لا توجد إلا ابستيمي واحدة تقوم بتحديد شروط كل معرفة وإمكانيتها[9] «

المبحث الثاني : المنهج المتبع في البحث

المنهج :

في أي بحث علمي أو أكاديمي بتبع صاحب البحث منهجا معينا يكتشف به و يتحرى الحقائق و في بحثنا هذا لقد اعتمدنا على المنهج التحليلي النقدي قبل التطرق اليه لابد من توضيح بعض المفاهيم :

مفهوم المنهج :

لغة :

يقصد به الطريق البين والواضح كقولك نهج فلان الطريق أي سلكه[10]

و منه أيضا أنهج الطريق، أي وضح و استبان، و صار نهجا واضحا بينا، و النهج هو الطريق المستقيم .

والجدير بالإشارة أن مفهوم المنهج لا يختلف عما ذكرناه، إذ يقصد به السبيل والطريق القويم لتحقيق غاية ما .

أما المنهج بمعناه العلمي فهو البرنامج الذي يحدد مسبقا سلسلة من المعطيات من أجل القيام بها وبذلك فإن المنهج يوحي باتجاه محدد المعالم ومتبع بانتظام في عملية ذهنية[11].

[8]د. عمر مهيبل، من النسق إلى الذات، ص41
[9]ميشال فوكو، الكلمات و الأشياء، ص179
[10]فاضلي إدريس، الوجيز في المنهجية و البحث العلمي، ص9

مفهوم المنهج التحليلي النقدي :

لقد اعتمدنا على المنهج التحليلي النقدي، وذلك لتحليل أهم الأفكار بغية فهمها، وتبسيطها إلى عناصر لاستيعاب ذهن القارئ وكذلك النقد و ذلك لتقييم أهم ما جاء في بحثنا حتى يكون نقدا بناءا ومنه سنقوم بشرح ذلك :

المنهج التحليلي النقدي :

التحليل:«عملية يراد بها اكتشاف عناصر موضوع معين من أجل غرض خاص[12]«

النقد: «عرض تلك العناصر على الموازين الدقيقة لمعرفة صحتها من فسادها «

و جملة هذا المنهج: ملاحظة الظواهر، ثم الحكم عليها و مناقشتها .

[11]نفس المرجع السابق، ص10

[12]الإحكام في أصول الأحكام، أبي الحسن علي بن علي الآمدي ، تحقيق إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة1

الفصل الثاني

تمهيد:

يقصد بالوضعية الإبستمولوجية للعلوم الإنسانيّة، تحديد المكانة الإبستمولوجية لعلوم الإنسان بالنسبة أو بالقياس إلى وضعيات و مكانان علوم أخرى، علوم الطبيعة و الرياضيات... حيث يحيل هذا المفهوم إلى ثلاثة أبعاد هي التي تشكل مباحث الفصل: أ/علوم الإنسان من حيث الماهيّة (تحديد الموضوع).

ب/علوم الإنسان من حيث الظهور و التطور(السياق التاريخي).

ت/مسألة الموضوع /مسألة المنهج و درجة عقلانية العلوم الإنسانيّة.

المبحث الأول: ماهية علوم الإنسان.

أ/ ماهي العلوم الإنسانيّة؟

إن العلوم الإنسانيّة على حداثة نشأتها إلا أنها تعتبر امتدادا لما يسمى «بالعلوم الأخلاقية» قديما، حيث ترتبط ارتباطا وثيقا بدراسة السلوكات الإنسانيّة فرديا وجماعيا، مما يوضح ذلك قول الفيلسوف الفرنسي "أندريه لالاند" بقوله " هي تعبير حديث لكنه يعم أكثر فأكثر، للدال على ما كان متفقا من قبل على تسميته «بالعلوم الأخلاقية»، يزداد تشديد هذا التعبير على السمات الممكن رصدها خارجيا، لطريقة تصرف البشر و سلوكهم، فرديا أو جماعيا "[1]

إضافة إلى ذلك يمكن حصر العلوم الإنسانية في اختصاصها بدراسة الإنسان من حيث السلوك،إذ لا يدخل ضمن العلوم الإنسانيّة« علم التشريح والفيزيولوجيا»أي هناك مقاربة ابستمولوجية ارتبطت بظهور علوم الإنسان بعلوم الطبيعة، فيمكن القول إذا أن هناك محاولة لتشكيل ملامح العلوم الإنسانيّة تماما كما تشكلت العلوم الطبيعية من قبل وهذا ما يؤكده "أندريه لالاند" بقوله " تجدر الملاحظة أن«العلوم الإنسانيّة» ليست كل العلوم المختصة بالإنسان: مثلا، لا تسمى بهذا الاسم علوم التشريح أو الفيزيولوجيا البشرية إنها العلوم التي تميز الإنسان في مقابل بقية الطبيعة "[2]

إذا العلوم الإنسانية نشأت بهدف إعادة الاعتبار للإنسان، حيث خصته بدراسة سلوكاته وتصرفاته ومحاولة تحليلها فرديا أو داخل دائرة المجتمع، بمعنى تحليل سلوكيات اجتماعية تطبع الإنسان على وجه العموم، إذ نجد قول "ابراهيم مذكور" في معجمه الفلسفي يفسر ذلك علوم تختص بدراسة تصرفات الناس وسلوكهم أفرادا كانوا أو جماعات فهي علوم تبحث في كل ما يتصل بالإنسان وتقابل العلوم الطبيعية"[3]

وقد نجد للعلوم الإنسانيّة بعدا جامعا ومانعا يجمع بين علم الأخلاق وعلم الاجتماع،بالإضافة إلى علم التاريخ وتكاد كل التعريفات تجمع على أن العلوم الإنسانيّة تعنى بدراسة سلوك الإنسان فردا وجماعة وما يؤكد هذا الطرح قول الفيلسوف العربي "جميل صليبا " في معجمه الفلسفي " يطلق هذا الاصطلاح على العلوم المسماة بالعلوم المعنوية، وهي تبحث في أحوال الناس، وسلوكهم أفرادا كانوا أو جماعات، كعلم الأخلاق، وعلم الاجتماع، علم التاريخ. وليس كل علم يمت إلى حياة الإنسان بسبب علما إنسانيا، لأن علم التشريح مثلا ليس قسما من العلوم الإنسانيّة، وإنما هو قسم من العلوم الحيوية والطبيعية"[4]

أندريه لالاند،موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول، تعريب خليل أحمد خليل، إشراف أحمدعويدات،ط2، منشورات عويدات، بيروت، باريس،2001
،ص1254

[2]نفس المرجع السابق، ص1254

[3]ابراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون الطابع الأميرية، القاهرة، مصر، د، ط1983،ص127

[4]جميل صليبا، المعجم الفلسفي الجزء الأول، بدون طبعة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982،ص101

مما سبق ذكره يمكن القول أن اهتمام العلوم الإنسانيّة منذ بداياتها كان ولا يزال ينصب حول دراسة الإنساني على الصعيد الفردي والجماعي وتحليل سلوكاته وتتبع تطورها عبر التاريخ ثقافيا واجتماعيا وما يؤكد هذا الطرح قول الفيلسوف الفرنسي "بول موي" العلوم الإنسانية تدرس الإنسان من حيث هو فرد ومن حيث هو عضو في جماعة في آن معا"[1]

[1]بول موي، المنطق و فلسفة العلوم،تر: فؤاد زكريا، مؤسسة هنداوي، 2022،ص188

المبحث الثاني: السياقات المعرفية و السوسيوثقافية لظهور علوم الإنسان

أ/ السياقات المعرفية:

لقد ساهمت مجموعة من العوامل في التأسيس لمجموعة من الانعطافات والتحولات في بنيه الوعي الغربي أثناء عصر النهضة، فانتقل العقل الغربي بموجب هذا التحول من عصور الظلام إلى بدايات تشكل حقبة جديدة أفرزت معطيات علمية و دينية و فكرية و ثقافية جديدة ويظهر في مقدمة هذا التحول ما يلي:

النهضة و الإصلاح الديني في أوروبا:

النهضة و الحركة الإنسانيّة:

شهدت المعرفة تحولات جذرية نتيجة التغيرات العميقة في بنية المجتمع الغربي خلال فترتي النهضة والإصلاح الديني بحيث حدثت تطورات هامة في مجالات الفلسفة والعلم والفكر مما أدى إلى إعادة تشكيل أسس المعرفة الإنسانيّة مع انطلاق حركة النهضة ثم إحياء النصوص الكلاسيكية اليونانية والرومانية مما أدى إلى ظهور الحركة الإنسانية التي ركزت على القدرات البشرية والإبداع الفردي في الوقت نفسه، إذ تعتبر هذه الحركة ثاني اكبر العوامل التي غيرت مجرى التاريخ الأوروبي بعد النهضة التي ارتبطت بالتراث الروماني والعودة إلى التراث القديم والثورة على كل ما استحدثه العصر الوسيط في شتى أنماط الحياة لذلك النهضة هي العامل الأول الذي مهد لظهور النزعة الإنسانية التي تقوم على دراسة الإنسان لنفسه أو ذاته بعدما كانت في العصور الوسطى جل الدراسات منصبة على دراسة العالم والظواهر الكونية نبرر ذلك بقول الفيلسوف البريطاني "برتراند راسل" من هنا اتجه مفكري النهضة وروادها إلى اهتمام أكثر بالإنسان فمن هذه الحقيقة استمدت الحركة الثقافية الجديدة اسمها وهو "النزعة الإنسانية" التي كانت من ثاني العوامل الكبرى المؤثرة في هذه الفترة[1]

الإصلاح الديني:

بعد النهضة والحركة الإنسانية جاء الإصلاح الديني ليغير مجاري التفكير إذ يقصد به تلك الثورة التي قامت في أوروبا ضد نظام الكنيسة وسلوكها الذي يقصي كل محاولة للاجتهاد الفكري وضد هيمنة رجال الدين وسيطرتهم على الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي في أوروبا، الأمر الذي أدى إلى تغييب كل مظاهر العقل وفتح المجال أمام الخرافات والتفكير الأسطوري الذي لا يستند على أي حقائق علميه ما انعكس سلبا على حركه التطور والازدهار في أوروبا،و لتأكيد هذا الطرح يقول "عبد السلام شرماط" في مقاله ما يلي: ظلت طبقة الإكليروس (رجال الكنيسة)مهيمنة على الفكر الديني في

[1]برتراند راسل، حكمة الغرب، تر: فؤاد زكريا، د، ط الكويت، سلسلة عالم ابمعرفة، 1973،الجزء الثاني، ص16.

مرحله ما قبل النهضة، إذ كان الإنسان خلالها مكبلا بقيود هذا الفكر، و كان مطالبا بضرورة طاعة رجال الدين والاستجابة لأوامرهم فالمرأة مثلا: لا ينبغي الارتباط بها لأنها سبب الخطيئة ولعل هذا ما جعل الرجال الكنيسة لا يتزوجون وسبحوا بالزواج الآخرين بدليل أن المرأة وسيلة الإنجاب وضمان استمرار الحياة[1]...

إذا الإصلاح الديني الذي جاء به"مارتن لوثر" وغيره أدى إلى تشكيك واسع النطاق في السلطة المطلقة للكنيسة الكاثوليكية مما فتح الباب أمام حرية التفكير الديني والنقد اللاهوتي إذ يقول" برتراند راسل " وفي ألمانيا كانت الحركة الإنسانية معاصرة للإصلاح الديني الذي اتى به "لوثر" وهو العامل الثالث من بين العوامل الكبرى التي أزالت عالم العصور الوسطى والواقع ان الكنيسة كانت في داخلها تعترف منذ وقت ما بضرورة حدود شكل من أشكال الإصلاح...[2]

التحولات المنهجية في بنية التفكير:

القطيعة مع المنطق الأرسطي و ظهور المنهج التجريبي(الأورغانون الجديد):

في خضم التحولات التي شهدتها أوروبا خصوصا في القرن 19 أين شهد انعطافا في حركة الوعي الغربي على الصعيد المعرفي وفي البنية المنهجية المشكلة لصلب المعرفة، إذ يمكننا أن نميز بين مرحلتين مفصلتين في تاريخ أوروبا على الصعيد المعرفي، إذ شكلتا باكورة المعرفة الفلسفية،أولهما المنطق الأرسطي الذي فرض وجوده كنموذج معرفي فرض وجوده لفترة زمنية طويلة من مخلفات الحضارة اليونانية ليبسط سيطرته على الساحة الفكرية الأوروبية، لكن ومع تبلور عصر النهضة الأوروبية وتجدد الوعي الغربي كان لزاما على المشتغلين بحقل الفكر والفلسفة إيجاد بديل للمنطق الأرسطي الذي أصبح عاجزا عن مواكبة الوعي الأوروبي ومع تطلعات المجتمع إلى إحداث ثورة معرفية منهجية تشكل بصورة أو بأخرى مظهرا من مظاهر الثورة والقطيعة مع كل ما سبق عصر النهضة وعلى ضوء هذه المعطيات ظهر المنهج التجريبي كتجلي من تجليات التجديد والتحديث وكمنعكس حتمي لهذا التحول والذي فرضته النهضة ومعه العقل الغربي الذي يحاول فك قيود العصور الوسطى وأننا سنحاول أن نبين كيف تحول العقل الغربي من المنطق الأرسطي إلى المنهج التجريبي محاولا أن يتبنى هذا الطرح المعرفي المتجدد بعد ان كان المنطق الأرسطي هو السائد والمهيمن على الساحة الفكرية الغربية عموما.

[1] عبد السلام شرماط، النهضة الأوروبية بين الإصلاح الديني و النزعة الإنسانيّة، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للأبحاث و الدراسات، مارس 2014،قسم الدين و قضايا المجتمع الراهنة.
[2] برتراند راسل، نفس المرجع السابق، ص17.

نقد المنطق الأرسطي:

بعدما وضع أرسطو منهجه والاستقراء القائم على الاستدلال المنطقي مؤكدا على أنه آلة التفكير السليم يذهب فيلسوف المنهج التجريبي الحديث "فرانسيس بيكون" إلى تأسيس آلة جديدة موجها فيها سهام النقد للآلة الأرسطية القديمة مؤكدا أن أساس المعرفة وقيامها هو التجربة وعليه أن ينقد" بيكون " منطق أرسطوب أنه "القياس الأرسطي لا يهتم بعالمنا الطبيعي هو استدلال صوري لا تهمه سوى صحة الانتقال من مقدمات إلى نتائج تلزم عنها سواء كانت تلك المقدمات صادقة من حيث الواقع أو كاذبة لا قيمة للقياس إذن في تحقيق هدفنا الأكبر، وبجب توجيه الفكر إلى منهج جديد كاشف لقوانين العلم الطبيعي، مما يمكننا من فهم الطبيعة في ما ينفع الفرد والجماعة... [1]

يقوم بيكون بداية بتنحية القياس الذي يعتبر حجر الزاوية في المنطق الأرسطي جانبا،لأن من يستخدمه يمكن له أن يتوصل إلى استنتاجات تتناسب مع المقدمات المنطقية ذاته، وهي التأكيدات التي تستند إليها عمليه التفكير برمتها، يجب أن تكون مصدر ثقة بحد ذاتها، وغير قابله للجدل، فالقياس لا يتم تطبيقه على مبادئ العلوم، ويتم تطبيقه من دون جدوى في مجال البديهيات الوسطى طالما انه غير موازي البتة لفطنة الطبيعة، وهكذا فإن النظام الحالي للمنطق برمته هو نظام فاشل من وجهه نظر بيكون... [2]

مما سبق ذكره من انتقادات للمنطق الأرسطي يمكن القول أن هذه الانتقادات وهذا الرفض للمنطق الأرسطي التقليدي أدى حتما إلى قيام ثورة جديدة في بنية التفكير،إذ تم استبدال المنطق الأرسطي بظهور آلة الأورغانون الجديد مع "فرانسيس بيكون"و اصطناع منهج مغايرا تماما لما سبق لهو المنهج التجريبي القائم على الملاحظة والتجربة كأدوات رئيسية لاكتساب المعرفة.

الأورغانون الجديد (المنهج التجريبي):

كان البديل هو " الأورغانون الجديد " الذي قام على أسس منظمة، و خطة ممنهجة لإصلاح العلوم، إذ هو وسيلة جديدة لتنظيم الفكر، و توجيهه إلى هدف نفعي، و هو تفسير لعمليات الطبيعة إذ يقول " محمد عابد الجابري " إنه السيطرة على الطبيعة و إخضاعها لأغراضنا العلمية، ذلك هو الدرب الجديد الذي يجب أن تسير فيه الفلسفة و العلم "[3]

ما يميز ما جاء بيكون عن المنطق الأرسطي التقليدي أنه رفض و بشدة كل المناهج السابقة، رفض ما كان عليه العقل و التفكير الخرافي الذي طغت عليه الأسطورة نقد الأوهام الأربعة للعقل لهي

[1]محمود فهمي زيدان، الإستقراء و المنهج العلمي، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، مصر، 1997،ص62.
[2]فرانسيس بيكون، الأورغانون الجديد أو الوسيلة الجديدة لاكتساب المعرفة، تر: منذر محمود محمد، دار الفرقد للطباعة و النشر و التوزيع، ط1،دمشق، سوريا، 2016،ص27.
[3]محمد عابد الجابري، المنهاج التجريبي و تطور الفكر العلمي، الجزء2، دار الطليعة للطباعة و النشر، ط2،بيروت، لبنان، 1982،ص14.

أوهام"الكهف، السوق، المسرح، القبيلة" لذلك اقترح بيكون ضرورة التحلي بالعقل النقدي من أجل تأسيس معرفة سليمة، بهذا جاء بيكون ب الأورغانون الجديد كإشارة واضحة لرفض كل المناهج السابقة خاصة منطق أرسطو يقول " محمد أنور حامد عيسى" هاجم هذا الفيلسوف بشدة روح التقليد التي تسيطر على أفكار القوم، و انتقد الطريقة المدرسية التي لا تتوخى الدقة، و إنما تعتمد على الخيال و السفسطة، و نقد منطق أرسطو و اعتبره وسيلة عقيمة لا تؤدّي إلى كشف أفكار جديدة، كما لا يستطيع إثبات المبادئ العلمية". [1]

إضافة لما سبق نجد تأكيد صريح على أن "الأورغانون الجديد" هو خطوة و ركيزة أساسية في توجيه البشرية نحو العلم التجريبي الاستقرائي،و مؤكدا فيه على أن "المعرفة البشرية تبدأ بالتجربة الحسية، و يمكن أن تتسع عن طريق ملاحظات و تجارب دقيقة". [2]

إذا وفقا لما سبق ذكره يمكننا القول أن جهود" فرانسيس بيكون " و تأسيسه للمنهج التجريبي الاستقرائي (الأورغانون الجديد)، و نقده للمنطق الأرسطي التقليدي كانت له ايجابيات صحيح ذلك، لكن لا ننسى أن له سلبيات أدت إلى حدوث صراع بين الفلسفة و العلوم الأخرى،و هذا بداية مع عصر التنوير إذ بدأت العلوم تستقل عن الفلسفة و ظهور العلم الحديث مع جاليلي و هذا ما سنتطرق اليه إليه:

التنوير:

بعد النهضة جاء التنوير و كان ذلك في القرن الثامن عشر إذ هو حركة فكرية ثقافية، سعت إلى تعزيز المعرفة و الفكر العقلاني و العلمي، كان لحركة التنوير تأثير كبير على العلوم مما أدى إلى استقلالها على الفلسفة.

انفصال العلوم عن الفلسفة:

كانت هنالك علاقة وطيدة تجمع بين العلوم و الفلسفة حتى أطلق على الفلسفة اسم " أم العلوم " بمعنى الحاضنة لهم " كانت الفلسفة تشمل جميع العلوم، حتى القرن السابع عشر، فقد كان الفيلسوف يسمى عالما، و العالم فيلسوفا". [3]

كما قلنا سابقا ظهرت حركة فكرية و ثقافية سميت" بالتنوير "هذه الحركة أدت إلى انفصال العلوم عن الفلسفة حيث بدأت هذه العلوم تتبنى منهجيات جديدة تعتمد على الملاحظة و التجربة بعدما كانت تعتمد على التأمل والمنطق الفلسفي" وقد ظهرت حركة جديدة لتحرير العلوم وفصلها عن شجرة الفلسفة

[1]محمد أنور حامد عيسى، نظريات في المنطق الحديث و مناهج البحث، دار المحمدية للنشر، ط1996،2،ص20.

13ويليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، تر:محمود سيد محمد أحمد، مكتبة مؤمن قريش، التنوير للطباعة و النشر و التوزيع، ط1،بيروت، 2010،ص66.

[3]د، حمود إبراهيم حمود السلامة،الفلسفة الحديثة و نشأتها، جامع الكتب الإسلامية، مجلد 1، ص5.

وذلك منذ القرن السابع عشر الميلادي، فصار للعلم معنا حديثا هو النظر إلى مظاهر الطبيعة بالمشاهدة والملاحظة ثم تفسير هذه الظواهر تفسيرا مؤيدا بالتجربة، والتجربة هنا هي الميزان للعلم الصحيح وبذلك يتلخص العلم الحديث في ثلاثة أمور: ملاحظة، تجربة، قانون.[1]

ظهور العلم الحديث جاليلي (المنهج التجريبي، الرياضيات):

لقد ظهر العلم الحديث نتيجة للتحول نحو المنهج التجريبي و الرياضيات كأدوات أساسية لفهم و تفسير الظواهر الطبيعية، إذ كان لهذا التحول تأثير كبير على تطور العلوم، حيث أصبحت المعرفة تستند إلى الأدلة التجريبية و التحليل الرياضي بدلا من التأمل الفلسفي، نجد الفيلسوف الإيطالي "غاليليو جاليلي" الذي فصل الفيزياء عن الفلسفة و قطع الصلة بالفكر القديم، كما أكد جاليليو على أهمية الملاحظة المباشرة و التجربة في العلم إذ قام بإجراء تجارب دقيقة لدراسة الحركة و الفيزياء الفلكية، مما وضع أسسا للفيزياء الكلاسيكية، إذ استخدم أيضا الرياضيات لوصف القوانين الفيزيائية وهذا ساعد في إضفاء صبغة دقيقة وكمية على العلوم الطبيعية.

لقد أسس جاليلو العلم الفيزيائي فأرسى دعائم المنهج التجريبي ودشن البحث في أهم فروعه التقليدية، وكانت نظرة جاليلو إلى الطبيعة نظرة مادية، فالعالم مادة و حركة و الحركة خاضعة لقانون العطالة أو القصور الذاتي حيث يقصد به أن" الحركة تسير بنفس السرعة في نفس الاتجاه بسرعة مستقيمة منتظمة، ما لم يكن هنالك ما يزيد فيها أو ينقص منها أو يغير من اتجاهها "وهنا يمكن تحديد سقوط الأجسام.

أكد غاليلو أن نفس قوانين حركة العالم السفلي تخضع لها ظواهر العالم العلوي، وهنا يقضي جاليلو على التصور الكلاسيكي القديم الذي يقسم العالم إلى قسمين: علوي وآخر سفلي وهما عالمين مختلفين تمام الاختلاف عن بعضهم البعض، ولقد ناصر كوبرنيك في أن الشمس هي مركز الكون وليس الأرض وهي فكرة زعزعت التصورات القديمة[2].

[1] د. حمود إبراهيم حمود السلامه، نفس المرجع السابق، ص5.
[2] محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم: العقلاني ة المعاصرة و تطور الفكر العلمي، مركز دراسات الوحدة العربية، ص244،243

أدرك غاليللو أهمية تطبيق الرياضيات على البحث في ظواهر الطبيعة تجعل منها العمود الفقري لكل بحث علمي حقيقي، يتجلى في أبحاثه وتجاربه وقوانينه التي حرص على التعبير عنها تعبيرا رياضيا.

بل أيضاً من إدراكه لأهمية الرياضيات فهي حسبه المفتاح الذي يحل ألغاز الطبيعة حيث كتب يقول " يجب أن يكتب على غلاف مجموعة مؤلفاتي ما يلي: يدرك القارئ بواسطة عدد لا يحصى من الأمثلة أهمية الرياضيات وفائدتها في الوصول إلى أحكام في العلوم الطبيعية وسيدرك أيضاً أن الفلسفة الصحيحة أي العلم الطبيعي مستحيلة بدون الاسترشاد بالهندسة". [1]

ب/السياقات السوسيوثقافية:

لقد شهد المجتمع الغربي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تحولات سوسيولوجية كبيرة، أبرزها الثورة الصناعية، هذه التحولات لم تكن مجرد تغييرات اقتصادية بل كانت لها انعكاسات واسعة على الجانب المعرفي والثقافي للمجتمع، اذ مع ظهور الثورة الصناعية بدأت الطبقة البرجوازية بالازدهار، مما أدى إلى تحولات اجتماعية عميقة تمثلت في نمو المدن والصراع الطبقي هذه التغيرات أدت بدورها إلى ما يعرف بأزمة الإنسان الحديث التي تشمل جوانب اجتماعية،نفسية و اقتصادية.

الثورة الصناعية و ظهور البرجوازيّة:

بدأت الثورة الصناعية في أواخر القرن الثامن عشر في بريطانيا، حيث أدت إلى تغييرات جدرية في طرق الإنتاج واستخدام التكنولوجيا. مع تطور الصناعات المختلفة وظهور المصانع بدأت طبقة جديدة تعرف بالبرجوازية في الظهور والازدهار، وهي طبقه تتكون من أصحاب المصانع والرجال الأعمال الذين استفادوا من التحولات الاقتصادية الجديدة هذه الطبقة أصبحت القوة الدافعة وراء التغيرات الاجتماعية والاقتصادية الكبرى التي شهدها المجتمع الغربي.

تعتبر الثورة الصناعية إحدى الثورات التي أحدثت أهم التغيرات و أخطرها في حياة الإنسان، فلقد شاعت في أوروبا خلال القرن 19 م تلك الاختراعات الآلية وذلك اللون من الحضارة الصناعية التي ظهرت وتطورت في البداية في بريطانيا ثم امتدت إلى بلجيكا وفرنسا و ألمانيا وسائر القارة الأوروبية.[2]

ولقد أدت هذه الثورة الصناعية إلى انتشار المصانع الحديثة وازدياد حجم المدن في أوروبا الغربية إن الانقلاب الذي حدث في أوروبا بل في العالم المتمدن بأسره، من حيث الأحوال المعيشة في القرن الأخير لم يسبق له مثيل في تاريخ البشر حتى قيل أنه يفوق جميع ما طرأ على العالم منذ عهد قدماء المصريين إلى قيام الثورة الفرنسية. [3]

---

[1]محمد عابد الجابري، نفس المرجع السابق، ص245.
[2]فائق طهبوب و محمد سعيد حمدان، تاريخ العالم الحديث و المعاصر، ط2،الشركة العربية المتحدة، القاهرة، 2010م، ص141.
[3]حسين عبد الفتاح، تاريخ أوروبا الحديث و المعاصر، دار المؤرخ، السعودية، 2007م، ص309.

نمو المدن و الصراع الطبقي:

أدت الثورة الصناعية إلى نمو المدن بشكل كبير حيث هاجر الناس من المناطق الريفية إلى المدن بحثا عن فرص العمل في المصانع هذا التحضر السريع خلق بيئة جديدة ولكنها كانت مليئة بالتحديات، فالنمو السكاني السريع في المدن أدى إلى مشاكل اجتماعية مثل الفقر، البطالة وظروف العمل القاسية هذه الظروف ساهمت في بروز الصراع الطبقي بين البرجوازية والطبقة العاملة.

"لقد اكتسبت المدن أهميّتها بظهور الثورة الصناعية حيث ارتبط ظهور المدن بالصناعة أساسا فالنظام الصناعي الرأسمالي أرجع للمدن أهميّتها التي كانت في العصر الروماني ولكن في نهاية العصر الروماني، و بداية العصور الوسطى مرت المدن بفترة" الظلام الأوروبي" أي أنها شهدت كسادا تجاريا وضعفا سياسيا وفقدت المدن أهميّتها أكثر بظهور النظام الإقطاعي الذي لم يكن يعتبر المدينة كمركز له بل أصبحت القرية أو الزراعة هي التي تشكل دعائم النظام الإقطاعي، والواقع أن ظهور البرجوازية قد أدى إلى إضعاف النظام الإقطاعي وبزوغ بناء اجتماعي جديد،مصحوبا بالتطور في المهن والحرف والصناعة في المدينة ليجلب إليها أسباب النشاط العمراني من تجاره ومواصلات وصناعة ومختلف الخدمات". [1]

إن الصراع الطبقي في جوهره هو صراع بين من يملكون وسائل الإنتاج وبين من لا يملكونها وهو صراع قديم قدم المجتمع ذاته، ولمعرفه النتائج والاتجاه الذي سينتهي إليه والعلاقات الجديدة التي ستنشأ من جرائه يكفي اكتشاف العلاقات والقوانين التي تتحكم فيه وهذا ما تسعى الماركسيه للوصول إليه يقول كارل ماركس في رسالة أرسلها إلى المفكر "ويدماير" 1852" أما فيما يتعلق بي الآن، فليس إلي الفضل في اكتشاف وجود الطبقات في المجتمع الحديث، ولا الفضل في اكتشاف الصراع فيما بينها. فقد سبقني بوقت طويل مؤرخون برجوازيون إلى عرض التطور التاريخي لصراع طبقات هذا، واقتصاديون بورجوازيون إلى تشريحه اقتصاديا"[2]

فرغم أسبقية غيره في هذا التحديد إلا أن هذا لم يمنع ماركس من إضافة بعض اللمحات الجديدة في هذا الموضوع يقول في ذلك"أما الجديد الذي أتيت به فهو إقامة البرهان على أن وجود الطبقات لا يرتبط إلا بمراحل من تطور الإنتاج، على أن صراع الطبقات يفضي بالضرورة إلى دكتاتورية البروليتارية، على أن هذه الدكتاتورية لا تمثل هي نفسها سوى انتقال نحو إلغاء الطبقات كافة و نحو مجتمع بلا طبقات "[3]

[1]السيد الحسيني، المدينة، علم الاجتماع الحضري، القاهرة،دار المعارف، ط3، 1985،ص28/25

[2]مراسلات ماركس، إنجلترا 1973،ترجمة: جورج طرابيشي، ط1،لبنان، دار الطليعة للطباعة و النشر، ص22.

[3]المرجع نفسه، ص22.

أزمة الإنسان الحديث:

إذا التحولات السوسيولوجية الناتجة عن الثورة الصناعية أدت إلى ما يمكن تسميته بأزمة الإنسان الحديث ويمكن تقسيمها إلى ثلاث جوانب رئيسية: أزمة اجتماعية، أزمة نفسية، أزمة اقتصادية.

أزمة اجتماعية:

فالتحولات الاقتصادية و الاجتماعية أدت إلى تفكك الهياكل الاجتماعية التقليدية، مما خلق شعورا بالاغتراب لدى الكثير من البشر، كذلك الصراع الطبقي بين البرجوازيّة و الطبقة العاملة أدى إلى توترات اجتماعية و مطالبات بالعدالة الاجتماعية.

أزمة نفسية:

الحياة في المدن الصناعية الكبرى كانت مليئة بالضغوط النفسية، كذلك الشعور بالاغتراب و فقدان الانتماء الاجتماعي.

أزمة اقتصادية:

على الرغم من النمو الاقتصادي، فإن الثروة كانت غير موزعة بشكل متساوي،

مجمل القول يمكن القول أن التحولات السوسيولوجية الناتجة عن الثورة الصناعية أحدثت تغيرات جذرية في بنية المجتمع الغربي حيث أثرت على الجانب المعرفي والثقافي و أدت إلى أزمات اجتماعية،نفسية اقتصادية، مما شكلت تحديات جديدة للإنسان الحديث وبهذا أدت إلى ظهور تحول في الفكر الابستمولوجي حيث أصبح الاهتمام بالإنسان ليس كمنتج للمعرفة فحسب، و إنما كموضوع للعلم استجابة للتحديات الجديدة التي فرضتها التحولات المعرفية و السوسيوثقافية في المجتمعات الغربية حديث أو معاصرا.

المبحث الثالث: القيمة الإبستمولوجية لعلوم الإنسان.(الموضوع /المنهج /المآل و المصير)

تواجه العلوم الإنسانية تحديات ابستيمولوجية فريدة عند دراسة الإنسان والمجتمع، وذلك نتيجة التعقيد والذاتية المرتبطة بالموضوع.هذا التمهيد يسلط الضوء على ثلاث مجموعات رئيسية من المشكلات الإبستمولوجية تلك المتعلقة بالموضوع، بالمنهج،وبقيمة النتائج.

أ/ المشكلات من حيث الموضوع:

العلوم الإنسانية تعنى بدراسة الإنسان في كل جوانب حياته النفسية و الاجتماعية و الثقافية، مما يثير تحديات كبيرة في تحقيق الموضوعية،فالذاتية هي مشكلة بارزة حيث يكون الباحث جزءا من المجتمع الذي يدرسه، مما يجعل من الصعب فصل التأثيرات الشخصية علاوة على ذلك التعقيد الإنساني والتغير المستمر للمجتمعات يجعل من الصعب بناء نظريات شاملة تفسر جميع جوانب التجربة الإنسانية. " ما يتعلق بالباحث فالإنسان هو الدارس والمدروس وهنا تطرح مشكلة الموضوعية بحدة لصعوبة التخلص من الأحكام المسبقة وإحكام القيمة و الإيديولوجيا، ففصل ذات الباحث عن موضوعات البحث تبدو متعسرة، وهو النقد الموجه للعلوم الإنسانية من حيث أنها لا تتسم بالموضوعية وهي سمة أساسية من سمات التفكير العلمي، طالما أن الإنسان الذي يدرس يكون نفسه موضوع الدراسة أو أن الذات العارفة تكون هي نفسها موضوع المعرفة". [1]

طبيعة الموضوع المعقدة لارتباطه بالإنسان الذي يتميز بالفرادة وما يتصل بها " من تعقيد وعفوية وحرية وارادة وجدة وسرعة تغيير وغيرها مما يفضي إلى تعذر استخلاص التعميمات من تقلب سلوكه والتنبؤ به وإجراء التجارب عليه، و خضوعه للقياس". [2]

إضافة لما سبق فإن الإنسان وحقيقة أحواله والظواهر التي تصدر عنه متصلة بصفة الإطلاق، بينما المناهج العلمية لا تستطيع الوصول إلى حقيقة ما هو نسبي، بمعنى آخر يمكن القول أن العلوم الإنسانية تتعامل مع جوانب معقدة ومتغيرة باستمرار من الحياة الإنسانية والتي لا يمكن تحليلها وفهمها بالكامل باستخدام مناهج البحث العلمي التي تركز على القياس والدقة والإثبات التجريبي لأنها تصطدم بطبيعة الظواهر الإنسانية التي تتصف بالتغير والتنوع والتعقيد و هذا ما يؤكده "محمد وقيدي"«يصاغ الاعتراض على موضوع العلوم الإنسانية في القول بأن حقيقة أحوال الإنسان والظواهر التي تصدر عنه متصفة بصفة الإطلاق في حين أن المناهج العلمية لا يمكن ان تصل الى حقيقة ما هو نسبي».[3]

---

[1]شرف محمد جلال، محمد قاسم، قراءات في فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية، مصر، دار المعرفة الجامعية.
[2]صلاح قنصوة،الموضوعية فيالعلوم الإنسانية،ط2،بيروت، دار التنوير للطباعة و النشر.
[3]محمد وقيدي، العلوم الإنسانية و الإيديولوجيا، ط3،بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ص105.

الاعتراض على علوم الإنسان يأتي أيضا من فرادة الأحداث التي تدرسها وجدتها المطلقة، بمعنى انه سواء كان الحدث الذي يتم دراسته يقع في المجال النفسي أو في المجال المجتمعي والتاريخي، فانه يتميز بجدته مقارنة بما سبقه، كما يتميز بعدم قابليته للتكرار في المستقبل. هذا يعني أن كل حدث إنساني فريد من نوعه ولا يمكن إعادة إنتاجه بنفس الطريقة تماما، وبالتالي يكون من الصعب وضع قوانين عامة أو نظريات شاملة يمكن أن تطبق على جميع الحالات المستقبلية، مما يحد من القدرة على استخدام المناهج العلمية التقليدية التي تعتمد على التكرار والتجريب و ما يبرر هذا الطرح قول "محمد وقيدي" « يقع الاعتراض على العلوم الإنسانية كذلك بفرادة الأحداث التي تدرسها وبجدتها المطلقة. وهكذا فسواء فرضنا أن الحادث المراد دراسته يقع على الصعيد النفسي أو يقع على الصعيد المجتمعي والتاريخي فانه يتميز بجدته بالقياس إلى ما سبقه كما يتميز بعدم قابليته للتكرار في اللاحق». [1]

كذلك من المميزات التي تجعل الظواهر الإنسانية غير قابلة لأن تكون موضوعا للمعرفة العلمية هي تعقيدها هذا التعقيد يتمثل في كون أن الظواهر الإنسانيّة تتفاعل مع بعضها البعض بطرق معقدة ومتغيرة باستمرار مما يجعل من الصعب تحديد علاقات سببية ثابتة بينها،إضافة إلى ذلك نجد الأفراد والجماعات يختلفون بشكل كبير في تصرفاتهم،تجاربهم، وثقافتهم مما يجعل من الصعب وضع نظريات عامه تنطبق على الجميع، كذلك نجد الظواهر الإنسانية تتأثر بعوامل نفسية واجتماعية متعددة مثل الأحاسيس أو المشاعر، الأفكار، القيم، العلاقات الاجتماعية وهي عوامل يصعب قياسها وتحليلها بدقة علمية، كذلك لا ننسى أن الظواهر الإنسانية تتغير مع مرور الوقت بفعل التطور الاجتماعي والتاريخ مما يعني أن ما يمكن دراسته اليوم قد لا يكون صحيحا او قابلا للتطبيق في المستقبل إذ يقول "محمد وقيدي" «من المميزات التي تتميز بها الظواهر الإنسانية والتي تجعلها غير قابلة لأن تكون موضوعا لمعرفة علمية أن هذه الظواهر معقدة». [2]

ب/المشكلات من حيث المنهج:

المناهج المستخدمة في العلوم الإنسانية تواجه أيضا مشكلات عدة، فالنسبية الثقافية تعيق تعميم النتائج إذ أن ما ينطبق على ثقافة معينة قد لا ينطبق على أخرى فالتفاعل بين الباحث والمبحوث يمكن أن يؤثر على النتائج ويجعل الحفاظ على الحيادية أمرا معقدا فاللغة والتفسير يحملان تحديات إضافية، حيث أن التفسيرات اللغوية قد تكون متعددة ومتشابكة وأخيرا فالصراع بين المناهج الكمية و النوعية يظل موضوع جدل مستمر حول فعالية كل منهما في دراسة الظواهر الإنسانية.

[1] المرجع السابق ص 107.
[2] نفس المرجع السابق، ص109.

نجد في العلوم الطبيعية(الفلك، الفيزياء، الكيمياء)أن تطبيق المنهج العلمي يكون على موضوعات خارجية ومستقلة عن الباحث، هذه الاستقلالية تضمن الموضوعية بحيث يمكن للعلماء والباحثين اجراء تجارب وملاحظات دقيقة دون التأثير على الإنسان أو الذات الدارسة، أما في علوم الإنسان نجد الأمر مغايرا تماما إذ أن تطبيق المنهج العلمي على الإنسان ذاته أمر صعب لأنه في الوقت ذاته يكون الإنسان ممارسا للمنهج وموضوعا له،مثلا نجد ذلك في علم النفس يستخدم العلماء منهج التأمل الذاتي لدراسة النفس البشرية ومع ذلك يواجه منهج التأمل الذاتي مشكلة رئيسية تتعلق بتداخل الذات الباحثة مع موضوع الدراسة مما يعيق الوصول إلى معرفة موضوعية تماما فالذات دائما تلعب دورا في عملية المعرفة مما يجعل تحقيق الموضوعية الكاملة تحديا صعبا. ما يبرر هذا الطرح قول "محمد وقيدي"

« حين يطبق الباحث المنهج العلمي في دراسة الموضوعات المختلفة فان تطبيق المنهج يكون على موضوع خارجي مستقل عن الباحث. وهذا هو الطريق الذي يضمن الموضوعية في العلوم الفلكية والفيزيائية والكيميائية.أما في العلوم الإنسانيّة فان المنهج العلمي ينطبق على الإنسان ذاته أي أن الإنسان في هذه الحالة يكون ممارسا للمنهج العلمي وموضوعا له في الوقت ذاته. ويبدو هذا الاعتراض في صورته الأقوى بصدد علم النفس، وخاصة حين يريد هذا العلم أن يطبق في دراسته لموضوعه منهج التأمل الذاتي. لا شك في أن الذات تلعب دائما دورا أساسيا في المعرفة إلى الحد الذي يمكن لنا معه القول بأنه لا يمكن تحصيل أية معرفة موضوعية دون تدخل من الذات. ولكن المشكل في التأمل الذاتي كمنهج هو هذا التداخل الذي يقع بين ممارسة المنهج وموضوعه. فهو الحائل دون تحصيل المعرفة الموضوعية». [1]

ان الحديث عن المنهج في علوم الإنسان هو أمر ضروري ولابد منه« إن أزمة المنهج في العلوم الإنسانية وليدة طبيعة موضوع دراسة هذا العلم بقدر ما تعددت الموضوعات التي تدرسها العلوم الإنسانية بقدر ما تطرح أزمة المنهج المتبع في الدراسة، هنا الدارس يجد نفسه حائرا في تحديد منهج الدراسة لتحقيق العلمية المنشودة منذ نشأة العلوم الإنسانية في القرن 19 وجدت هذه الأخيرة أمامها العلوم الطبيعية التي أخذت نمذجتها و اقتدت بمنهجها في دراساتها الشيء الذي آثار جدلا واسعا حول علمية العلوم الإنسانيّة».[2]

أضافه إلى ذلك فان علوم الإنسان فرضياتها تفتقر إلى الدقة فالفرضيات في العلوم الإنسانية غير دقيقة فان هذا يعني أنه لا يمكن تطبيق خطوات المنهج العلمي بنفس الطريقة التي تطبق بها في العلوم الطبيعية. إذ أنها طبيعة الظواهر الإنسانيّة التي تكون غالبا معقدة و متعددة الأبعاد وتتأثر بعوامل عديدة

[1]محمد وقيدي، مرجع سابق، ص119.
[2]د. علا مصطفى أنور، قضايا المنهجية في العلوم الاسلامية و الاجتماعية، المعهد العالي للفكر الإسلامي، ص183.189

متغيرة باستمرار مثل الثقافة، التاريخ،السياسة، الاقتصاد، بينما في العلوم الطبيعية تكون الظواهر أكثر ثباتا وإمكانية للقياس والتكرار بشكل أكثر دقة وبالتالي عدم دقة الفرضيات في العلوم الإنسانية يعوق إمكانية تطبيق المنهج العلمي التقليدي بشكل فعال مما يجعل من الصعب تحقيق نتائج دقيقة و متكررة كما هو الحال في العلوم الطبيعية، اذ يقول "محمد وقيدي" « يعترض على العلوم الإنسانية بعدم دقة فرضياتها وحيث إن للفرضية دورا مهما في العمل العلمي لأنها الأساس الذي ينطلق منه العالم للتعامل مع الظواهر تعاملا تجريبيا فان هذا الاعتراض يعني انه لا يمكن، بسبب الظواهر الإنسانيّة إتباع خطوات المنهج العلمي كما هي في العلوم الأخرى». [1]

ت/المشكلات من حيث قيمة النتائج: (المآل و المصير).

مما سبق ذكره تبين لنا أنه لا يمكن قيام دراسة علمية تتعلق بالإنسان، و ذلك لاستحالة تطبيق الموضوع و المنهج على الإنسان فهل يا ترى سيكون الأمر كذلك في قيمة النتائج أم أن العلوم الإنسانيّة لقيت اهتمام و تقدم منذ انفصالها عن الفلسفة و منذ نشأتها؟

لقد شهدت علوم الإنسان منذ نشأتها و حتى اليوم تطورا ملحوظا رغم التحديات و المشاكل التي اعترضتها، لذلك لابد بالاعتراف بأهمية علوم الإنسان و كذلك لابد من تجاوز الاعتراضات و التركيز على الإمكانيات و الحلول المساعدة يقول "محمد وقيدي" « هناك تقدم فعلي للعلوم الإنسانية منذ نشأتها وحتى الآن وهو تقدم لم يجعل هذه العلوم جزءا من الثورة التي عرفتها المعرفةالإنسانية منذ القرن الماضي فحسب جزء من الثورة التي عرفها تطبيق المعارف النظرية في المجالات المختلفة للحياة الإنسانية.فللعلوم الإنسانية اليوم مظهرها التكنولوجي كما هو الأمر بالنسبة للعلوم الأخرى لذلك لا ينبغي الوقوف عند منطق الاعتراضات، بل ينبغي تجاوزها جدليا باكتشاف الآفاق التي يرشدنا إليها منطق التقدم الحاصل منذ بداية العلوم الإنسانية إلى الآن». [2]

إضافة إلى ذلك لا ننسى أن التحولات المعرفية السوسيوثقافية استطاعت أن تحول الإنسان من منتج للمعرفة إلى موضوعا لها فأصبح ضمن المجال الاستمولوجي للمعرفة وبهذا استطاعت علوم الإنسان أن تجد لها موضعا في المنظومة العلمية مستفيدة من فرصة التحولات المعرفية السوسيوثقافية في تاريخ العلم، لاسيما الثورة العلمية في مجال الفيزياء ومراجعة الكثير من مفاهيم العلم ومناهجه كمفهوم الحتمية والمنهج التجريبي بتجاوز التصور الدوغمائي لمفهوم علمية المعرفة وحصرها في النموذج الفيزيائي، فبالرغم مما حققته علوم الإنسان من تقدم نسبي موضوعا ومنهجا إلا أنها ظلت تحت مرمى انتقادات بعض العلماء بالاعتراض على علميتها وتخلفها النسبي مقارنة بالعلوم الأخرى مثلا العلوم

[1] محمد وقيدي، نفس المرجع السابق، ص125.
[2] محمد وقيدي، مرجع سابق، ص130.

الطبيعية«حتى قيل أن وجود علوم طبيعية على أساس منطقي مقنن ومنهجي راسخ، مثل بالنسبةلباحثي العلوم الإنسانية التحدي الذي ينبغي عليهم مواجهته للوصول بدوامهم الى مستوى يقارب مستوى العلوم الطبيعية». [1]

كذلك لابد من اجتناب مقارنة علوم الإنسان بالعلوم الأخرى التي سبقتها في التطور حيث يقول "محمد وقيدي" « عدم المقارنة النظرية المجردة بين العلوم الإنسانية وبين العلوم الفيزيائية والكيميائية التي سبقتها في التطور كما أن إمكان العلوم الإنسانية يعتمد من جهة أخرى على هذا الوعي المتزايد للعلوم الإنسانية بخصوصية الموضوع الذي تدرسه، وهو الأمر الذي ارتبط باستمرار باكتشاف طرق خاصة لبحث هذا الموضوع في مستوياته المختلفة ومظاهره المتباينة». [2]

[1]يمنى طريف الخولي، مشكلة العلوم الإنسانيّة و تقنينها و إمكانية حلها، القاهرة، دار الثقافة للنشر و التوزيع، ص48/47
[2]محمد وقيدي، مرجع سابق، ص139.

خلاصة:

مجمل القول يمكننا القول بأن علوم الإنسان قطعت شوطا مليئا بالتحديات و الصعوبات فالبرغم من الانتقادات و الاعتراضات عليها من قبل العلماء موضوعا و منهجا و مقارنتها بالعلوم الأخرى، إلا أنها استطاعت أن تؤسس لنفسها مفاهيم خاصة متجاوزة بذلك ولو نسبيا مشكلاتها من حيث الموضوع و المنهج و قيمة نتائجها.

الفصل الثالث

تمهيد :

يعد الفيلسوف الفرنسي ميشال فوكو من أبرز المفكرين في القرن العشرين، الذين تناولوا موضوع العلوم الإنسانية من زاوية نقدية وفلسفية عميقة، اذ يقصد بتفكير العلوم الإنسانيّة في النسق الفلسفي عند ميشال فوكو هي تلك الطريقة التي ينظر بها إلى العلوم الإنسانية(مثل علم النفس، علم الاجتماع، التاريخ، والانثروبولوجيا) باعتبارها جزءا من نظام فكري أوسع يتسم بخصائص فلسفية معينة، ومن هذا المنطلق سنتطرق إلى ثلاث مباحث في هذا الفصل أولها التعريف بميشال فوكو وذلك من خلال ذكر أهم المعالم التي ساهمت في بلورة فكره، كذلك الخلفية الأسرية و السوسيولوجية، تكوينه، وغيرها من الأمور المهمة لهذا الفيلسوف وأخيرا سنختمها بالحديث عن أهم كتبه لهو كتاب" الكلمات و الأشياء" الذي كان عنوانه الصغير يسمى سابقا بأركيولوجيا العلوم الإنسانية إذ سنقوم بتحليل أهم ما جاء في هذا الكتاب .

المبحث الأول :

بيوغرافيا ميشال فوكو :

ميشال فوكو مفكر وفيلسوف فرنسي ولد في 15 أكتوبر عام 1926 بمدينة بواتيه، وتوفي في 25 جوان 1984 في باريس اثر إصابته بمرض الايدز، والده كان طبيبا مشهورا كما انه له أخ طبيب، نما "ميشال فوكو" و ترعرع في أكناف أسرة ذات سعة وجاه وفرت له كل ما يحتاجه[1] .

حصل على شهادة التبريز في الفلسفة ودرس بكلية الآداب في' كليرمون" فران قبل أن يشتغل كرسي تاريخ مذاهب الفكر في" الكوليج دي فرانسيس " بباريس كما أنه تقلد منصبا في جامعة ليل ليحاضر في علم النفس ما بين 1953 و 1954م، اعتزل فوكو مدة من الزمن عن التدريس، ثم عين سنة 1954 م مندوبا عن فرنسا في جامعة أوسالا في السويد[2] .

عاد فوكو إلى فرنسا عام 1960 ليحصل على الدكتوراه ويحصل أيضا على شهادة في الفلسفة السابقة الذكر لقد قضى فوكو سنوات عصيبة بمدرسة المعلمين العليا اذ أنه لم يكن شابا سويا أو لين المراس حتى تسهل معاشرته أو مخالطته من قبل أقرانه الذين كانوا يشاركونه السكن والدراسة[3] .

لقد تأثر فوكو بعدة مفكرين و فلاسفة من العصر الحديث فقد تعمق كثيرا في قراءته الفلسفية متأثرا في ذلك بأساتذة " هيبوليت عن هيجل إلى قتنته، كما فتنن بدراسة ماركس ثم بعد ذلك بنيتشه الذي كرس له دراسة متميزة، حيث تعمق في دراسة لبعض الدراسات النفسية والاهتمام بأخلاقيات الذات وهو ما دفع الى دراسة أعمال كل من فرويد و بطاي و بلانشو و كلوسوفسكي، و جان جنييه وساد[4] .

[1] 1محمد علي الكردي، وجوه و قضايا فلسفية، دار مطابع المستقبل، بيروت، لبنان، الإسكندرية، مصر، ص49.
[2]جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ط1
ص469.، م2006
[3]محمد علي الكردي، وجوه و قضايا فلسفية، المرجع السابق، ص49.
[4]نفس المرجع السابق، ص49

باعتبار أنه قد دخل إلى معالجة في النفس بعد تعرضه لمرض نفسي كانت ثمرة هذه الدراسة كتابه" الجنون في العصر الكلاسيكي " سنه 1961م، وبعده سنه 1963م كتاب ولادة العيادة .

كما عني بقراءاته ل "ديكارت"، و كانط منذ المدرسة الثانوية، ثم تعلق بهوسرل وهيدجر،

و قد كان ولعه بهذا الأخير عظيما إلى حد ذهب فيه فوكو إلى تعلم الألمانية حتى يمكنه الإطلاع على نصوص الفيلسوف في لغتها الأصلية[1] .

وقد تأثر مع هيدجر بفكرة" موت الإنسان" التي طرحها " نيتشه " ثم تلاه "هيدجر" إلا أن تأثير" نتشه" كان هو الغالب في النهاية فاهتم بقضايا السلطة وعلاقات القوة و عمليات بناء الذات عنده، ومع انه تأثر" بنيتشه " إلا انه لم يطلع على مؤلفات بنيتشه حتى سنة 1970 ففي بداية حياته العلمية والتعليمية فقد عني بالدراسات النفسية و النفسانية وذلك للاحتذاء بمعلمه " ألتوسير "، الذي مخض على ذلك التعمق في هذه الدروس وكانت أولى محاضرة عنوانها المرض العقلي والشخصية سنه 1954م، التي عدلها فيما بعد تحت عنوان المرض العقلي وعلم النفس 1962م[2] .

كان المجال الفكري الذي طور فيه فوكو أفكاره تهيمن عليه أعمدة الماركسية وعلم الظاهرات، تتبعت أعمال فوكو مبكراً أنماط الفكرية المتغيرة، فيما يتصل في أنواع المعرفة المختلفة و كانت دراسته المبكرة الأولى" الجنون و الحضارة " النسخة المعادلة لأطروحاته للدكتوراه حيث تناول العلاقة بين الجنون و السببية و قامت بدراسته للمسيحية لردود الفعل المتغيرة اتجاه الجنون وفقا للطريقة التي يتغير فيها التفكير في العقلانية بصورة حادة منذ فترة العصور الوسطى و مرورا بالتنوير وصولا للقرن التاسع عشر[3] .

---

[1]محمد علي الكردي، وجوه و قضايا فلسفية، المرجع السابق، ص50 .
[2]المرجع السابق، ص52.
[3]جون سكوت، خمسون عالما اجتماعيا أساسيا المنظرون المعاصرون، تر: محمد محمود حلمي، الشبكة العربية للأبحاث و النشر، ط1،بيروت لبنان2009،ص293/292

بالرغم من إنكاره المتواصل لوجود أي صلة بين أعماله والبنيوية فانه من الواضح أن أعمال فوكو المبكرة تحمل سمات البنيوية[1] .

كما تأثر فوكو بالبنيويين وكان شديد التأثير بنيتشه و لا سيما في منهجه الجينيالوجي في كتابه "الكلمات والأشياء" 1966م، حيث ركز في هذا الكتاب إلى الإشارة في قراءته للمشروع الثقافي الغربي وهو وثيقة لدلالة الأركيولوجيا الغربية و لقد لقي هذا الكتاب صدى واسع في المحيط الفرنسي و وجهت له العديد من الانتقادات، فحقق مبيعات خيالية و مع ذلك فإن فوكو يرفض بطريقة قاطعة في كتابه اركيولوجيا المعرفة 1969م انتماءه المزعوم إلى البنيوية[2].

فأسس في هذا الكتاب ما اسماه بالمنهج الأركيولوجي أو الحفري فاستعمل هذه الكلمة ليكشف عن طريقها أسرار أرشيف تآكلت كتبه وطمست حقائقه لأن الأرشيف مجال موضوعي ولا شعوري في الوقت ذاته، يمكننا أن نصل إلى حقيقة البنية المتضمنة فيه بأقل الانحرافات المنهجية[3] .

لقد اتسمت سنواته الأخيرة على ما يبدو بإرادة الاعتكاف و القطيعة. وكان فوكو يرى بأن نجاحه يحرمه من أن يكرس نفسه بشكل كل للأبحاث. في نفس الوقت كان يفكر بالتخلي عن ممارسة الكتابة و الابتعاد عن فضاء المكتبات المغلق ، حيث أمضى الساعات الطوال منقبا في الأرشيف و الصرخات المغمورة و المنسية.كما كان يفكر بالتخلي عن التعليم في "الكوليج دي فرانس" من اجل الاستقرار بشكل نهائي في الولايات المتحدة .

توفي فوكو بمرض الايدز في 25حريزان_يونيو من عام 1984[4].

[1]نفس المرجع السابق، ص293.
[2]محمد علي الكردي، وجوه و قضايا فلسفية، المرجع السابق ص 58.
[3]عمر مهيبل، من النسق إلى الذات، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط1،2007،ص40.
[4]فريدريك غرو، ميشال فوكو، تر: د. محمد وطفة، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ط1،بيروت لبنان، ص20.

و من أهم مؤلفاته إجمالا :

تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي 1961م .

المرض العقلي و علم النفس 1962م .

ولادة العيادة 1963م .

الكلمات والاشياء 1966م .

حفريات المعرفة 1969م .

نظام الخطاب 1970م .

المراقبة و المعاقبة 1975م .

تاريخ الجنس1984م .

استخدام الملذات 1984م .

كما قدم عدة دروس في "الكوليج دي فرانس" جمعت في كتاب أسماه" هم الحقيقة ."

المبحث الثاني: وضعية العلوم الإنسانيّة .

تمهيد :

في معرض حديثنا عن الأركيولوجيا و الجنيالوجيا في مسألة علوم الإنسان عند الفيلسوف الفرنسي" ميشال فوكو " يمكننا أن نميز بين هذين المصطلحين من حيث التعريف و الوظيفة كما يلي :

أ/ مسألة المنهج: الأركيولوجيا /الجنيالوجيا .

ضبط المفهومين :

مفهوم الأركيولوجيا :

من المعروف أن كلمة «اركيولوجيا» تعني علم الآثار، أي ذلك العلم الذي يبحث في الآثار المادية للحضارات المندثرة، عن طريق الحفريات حيث يقوم بدراستها وتحليلها وتركيبها .

وكلمة اركيولوجيا(علم الاثار) مشتقة من اللفظ اليوناني «اركية» أو« ارخايوس» الذي يعني «القديم»، و نحن نعرف أن دراسة الآثار القديمة تستسلم القيام بحفريات من اجل استخراج آثار الماضي من طوايا الأرض، والعمل على إعادة تركيب تاريخ الحضارات القديمة، ولكن فوكو لا يستخدم هذا الاصطلاح بهذا المعنى المعروف بل هو يرمي أولا وبالذات الى دراسة «ارشيف» كل عصر، من أجل الكشف عن المجال الابستمولوجي الذي يكمن خلف كل تجاربه ومعارفه ومناهجه[1] ...

و بين أن فوكو لا يقصد بكلمة اركيولوجيا الحفر والتنقيب عما مضى ولكنه جعلها قاسما منهجيا مشتركا بين اغلب مؤلفاته، إذ تؤلف الأولى منها ما نستطيع تسميته بأركيولوجيا النظرة الطبية، و يؤلف كتاب «الكلمات و الأشياء» اركيولوجيا العلوم الإنسانيّة،

[1]عمر مهيبل، البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص142

بينما تؤلف الاخيرة منها اركيولوجيا النظرة الجزائية. المهم أن فوكو أراد أن يفتح مجالات طريفة ومتنوعة باعتماده على هذه الكلمة، ذلك أن المصطلح في حد ذاته يفترض أن هناك وقائع مخفية، سرية، يتحتم على المعرفة الفلسفية أن تتحمل مهمة الكشف عن أسرارها، وأن تبحث في أصولها وثوابتها من اجل الوصول الى بنيتها المكونة .

وبالتالي فوكو استخدم كلمة اركيولوجيا ليس من أجل الحفر أو التنقيب عن الآثار أو ما شابه ذلك إذ يقول « لقد استعملت كلمة اركيولوجيا خصيصا للإشارة إلى بعض الأشياء التي ستصبح فيما بعد وصفا للأرشيف، وليس بغرض اكتشاف عظام الماضي، أو البحث عن الأطلال الغابرة[1] .

مفهوم الجنيالوجيا :

إن الحديث عن مصطلح " الجينيالوجيا " هو الحديث عن الفيلسوف الألماني "فريدريك نيتشه"، إذ استخدم نيتشه هذا المفهوم في سياق فلسفي و نقدي لفحص أصول و تطور المفاهيم و القيم الأخلاقية، إذ نجد أحد الفلاسفة الذين تأثروا بفكر نيتشه من بينهم نجد الفيلسوف الفرنسي" ميشال فوكو "إذ استلهم فوكو مفهوم الجنيالوجيا من نيتشه، لكنه طوره بطريقة تتجاوز الأخلاق إلى مجالات تمثل السلطة و المعرفة، فالجينيالوجيا عند فوكو تختلف عند نيتشه فالجينيالوجيا عند ميشال فوكو هي منهجية تحليلية تهدف إلى كشف الأصول التاريخية للخطابات و الممارسات الاجتماعية و السياسية ...

إذ يقول فريديريك نيتشه « الجنيالوجيا منهجية في البحث تعمل على الكشف عن المفاهيم التي تتوارى وتختفي، وهي عوده إلى طباع الأسلاف التي ابتعدت عنها الأنسال السابقة، وراثة الأفكار والتصرفات المنحدرة من الأجيال الغابرة والأجيال المقصودة هنا تحديدا شعب الإغريق الأكثر عراقة، شعب الفلاسفة الأروع تعاطيا مع الفكر مع الحياة، فالفلسفة ابتداء من أفلاطون إلى هيغل تبدو حلقة مفرغة كرست جهودها في تمثلات بلوغ الإنسانية مرحلة غاية الكمال و الجينيالوجيا قبل كل شيء هي مؤلف نيتشوي نقدي متميز

[1]المرجع السابق، ص143.

ذو أبعاد ممتدة إلى ما يتجاوز النقد الحديث بكل ما أوتي من قوة، بل هو نقد للنقد بصيغتيه المثاليتين النقدية والجدلية، أي الكانطية والهيغلية[1] .

فالجينيالوجيا هي دراسة تاريخ الأنساب فهي تهدف كذلك إلى تتبع الأصول والروابط العائلية بين الأفراد عبر الأجيال «إن المعنى الحرفي لكلمة جينيالوجيا، دراسة النشأة والتكوين لإثبات الوقوف عند الأصل، فكلمة جينيالوجيا مأخوذة من المصطلح اللاتينيGéealogo المشتق من المصطلح الإغريقيGénealogos فكلمة Généa

تعني الأصل أو المنبت،وlogos وتعني الدراسة أو العلم، وبذلك هذا المصطلح ذكر

الأصول و جذورها[2] «

مسألة المنهج: من الأركيولوجيا إلى الجينيالوجيا .

في الفكر الفلسفي الحديث تعد الأركيولوجيا و الجينيالوجيا من أبرز الأدوات التحليلية التي قدمها الفيلسوف الفرنسي " ميشال فوكو " لفهم تطور المعرفة والسلطة في المجتمعات، اذ تتميز هذه الأدوات بقدرتها على كشف البنى الخطابية وآليات السلطة التي تسهم في تشكيل الحقائق والمعارف، فالأركيولوجيا كما قدمها " فوكو" تهدف إلى دراسة طبقات المعرفة عبر التاريخ من خلال تحليل الأنظمة الخطابية التي كانت تحدد ما يمكن التفكير فيه وما يمكن قوله في أزمنة أو فترات معينة على عكس التاريخ التقليدي الذي يركز على الأحداث والتسلسلات الزمنية فالأركيولوجيا تركز على الكيفية التي تظهر بها المعرفة وتتحكم في انتاج الأفكار، من جهة أخرى نجد الجينيالوجيا التي هي منهجية تهدف إلى تتبع أصول وتطور المفاهيم والممارسات عبر الزمن مع التركيز على القوى الاجتماعية والسياسية التي شكلت هذه التطورات، فمن خلال الجينيالوجيا هذا المصطلح النتشوي سعى " ميشال فوكو" الى كشف العلاقات المعقدة بين السلطة والمعرفة موضحا كيف تتشكل الحقائق والمعايير من خلال الصراعات والنزاعات، فمن خلال دمج الأركيولوجيا مع الجينيالوجيا أراد فوكو أن

[1]فريديريك نيتشه، في جينيالوجيا الأخلاق، ترجمة: فتحي المسكيني، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة تونس 2010
[2]وهبة مراد، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، مصر، 2007،ص247

يقدم رؤية نقدية عميقة للعلاقات بين المعرفة والسلطة، وكذلك استخدامه لهذين المصطلحين بغية تحليل مجالات متعددة مثل السجون، المستشفيات، النظم التعليمية علاقات السلطة في المجتمعات وذلك لفهم كيفية تشكل المعرفة وتأثيرها على المجتمع والفرد ...

فلقد انطلق الفيلسوف الفرنسي " ميشال فوكو " كباحث صارم من خلال منهجه الأركيولوجي فوجه ضربة قاضية للنزعة الإنسانيّة أو كما يطلق عليها الإنسان الإنسانوية، فالإنسان حسب تعبير فوكو ما هو إلا " أسطورة القرن التاسع عشر" بحيث اتخذ فوكو من منهجه الأركيولوجي الأرضية الخصبة لتحديد ابستيمية كل عصر وكل حقبة تاريخية مثلا "ابستيمي التشابه" هو ما عرف في عصر النهضة، أما العصر الكلاسيكي فكان يحكمه "ابستيمي النظام"، أما عن العصر الحديث فقد حكمه" ابستيمي التاريخ و ظهور الإنسان"

أما الجينيالوجيا فهي المنهج الجديد المطبق في " راقب و عاقب" كان منه إصلاح هذا القصور فأراد فوكو لمصطلح الجينيالوجيا أن يكون استدعاء لجينيالوجيا الأخلاق عند نيتشه[1] «

إذ تعد الجينيالوجيا الأداة التي تسمح بالتقاء بين الفلسفة والتاريخ من خلال تقويض المسائل الميتافيزيقية ونقد منطلقاتها وإعادة النظر في مفاهيم طالما اعتبرت حقيقة ثابتة ومطلقة «و لعل أهمية البحث الجينيالوجي كتقويض للميتافيزيقا، تظهر في وصفه للواقع الإنساني كواقع يتشكل من الصراعات والمصالح ومن ثمة الهيمنة والرغبة في التملك[2] «

إن ما يميز الجينيالوجيا هو انشغالها بالبحث في المجالات التي تتدخل في الأصل، أما الأركيولوجيا فقد كانت تهتم بالقطيعة و اللااستمرارية، هذا ما ألهم فوكو من خلال ما يميز الجينيالوجيا هو «إقامة تاريخ محاصر» لأنه أراد ان يكون اهتمامه حول الراهن والوقت المعاش، ولعل هذا ما ميز فوكو عن غيره من الفلاسفة والمؤرخين والمفكرين الذين وجهوا

[1]د. غاري غولتينق، بروفيسور الفلسفة في جامعة نوتردام، ميشال فوكو، موسوعة ستانفورد، تر: يوسف الصمعان_2017/11/5 ، مجلة الحكمة من أجل اجتهاد ثقافي و فلسفي

[2]ميشال فوكو، جينيالوجيا المعرفة، تر: أحمد السطاتي، عبد السلام بن عبد العال، دار توبقال، المغرب، ط1،1988،ص53

اهتماماتهم الى مسائل غير الذي قصدها فوكو، فمعه نجد أنفسنا على أرضية فلسفية غير مألوفة والولوج الى أفق للتفكر الراهني والحاضر ...

ب/الإنسان في فلسفة ميشال فوكو:

يعتبر الإنسان في فلسفة" ميشال فوكو" موضوعا مركزيا يتعرض للنقد والتفكيك، ففي كتابه " الكلمات و الأشياء" يطرح فوكو في الصفحات الأخيرة" فكرة موت الإنسان" مشيرا أن الإنسان كفئة ثابتة ومستقلة هو بناء حديث نسبيا ظهر في القرن الثامن عشر مع صعود العلوم الإنسانية لكن مع تقدم هذه العلوم، تصبح فكرة الإنسان أكثر تعقيدا وتتعرض للتفكيك مما يؤدي إلى اختفاء الإنسان كما نعرفه الآن ففوكو ينظر إلى الإنسان كنتاج للتاريخ والخطابات الاجتماعية و السياسية وليس ككيان ثابت ومستقل كما كان معروفا من قبل... يقول د. عمر مهيبل «إن المعرفة التي ظهرت في القرن التاسع عشر، بظهور الإنسان هي نفسها التي ستنقض عليه وتشنقه، فهو كلما تفرق بين العلوم المختلفة فقد من قيمته، و من هويته ولكنه لا يملك الا أن يتفرق بين فروع المعرفة المختلفة.. وبالتالي فالموت والفناء هما مصيره المحتوم، فالإنسان المعاصر إذن على وشك الانمحاء والضمور، على وشك الموت إن لم يكن قد مات فعلا، ذلك أن المجتمع المعاصر قوض دعائم الإنسان بمتطلباته القاسية التي تجعله خاضعا لها، انه يموت مرات عديدة في اليوم الواحد[1] «...

لقد اقترن إذن اسم " ميشال فوكو " باشكالية موت الإنسان من داخل العلوم الإنسانية من خلال الإطاحة بتلك الذات التي لطالما تغنت بسراب المركزية نجد هذا الأفق الجديد خاصة في كتابيه "الكلمات والأشياء" و " حفريات المعرفة "، فهذا الفيلسوف الفرنسي" ميشال فوكو " قد أحدث زعزعة و هزة في الثقافة الغربية الجديدة اذ كرس فلسفته لدراسة البدايات الأولى للتعامل مع الإنسان من خلال موته اجتماعيا ومؤسساتيا، هي زحزحة في الأنظمة المؤسساتية حيث تقهقرت المنظومة المعرفية واختنقت يقول عمر مهيبل« يجب أن

[1]د. عمر مهيبل، البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر، ص88

نؤكد منذ البداية أن فوكو لا يؤرخ لتاريخ الأفكار، بل انه يحاول أن يؤكد الانقطاعات الإبستمولوجية التي وقعت في تاريخ الفكر الغربي[1] «

وبالتالي فان فكرة موت الإنسان التي جاء بها ميشال فوكو فهي لا تعني الموت البيولوجي للإنسان كما نعرفه بقدر ما تعني أن الإنسان سيصبح شيئا من أشياء الوجود بعدما كان في القديم ذاتا متعالية على المعرفة يقول ميشال فوكو« ان اختفاء الإنسان هذا في ذات اللحظة التي كان البحث عنه قائما، إلى حدود جذوره، لا يعني أن العلوم الإنسانية ستزول وتختفي فهذا ما لم اقله قط، ولكن أقول أن العلوم الإنسانيّة ستنتشر الآن في أفق لن تعد تسده النزعة الإنسانيّة أو تحدده. إن الإنسان يختفي في الفلسفة، لا كموضوع للمعرفة، بل كذا تتمتع بالحرية والوجود[2] «...

إن الإنسان حسب " ميشال فوكو " يمثل موضوع للتفكير ظهر حديثا نتيجة لظروف سياسية واجتماعية شهدتها المجتمعات الغربية، إذ يقول " ميشال فوكو" في كتابه الكلمات والأشياء «أن الإنسان اختراع العهد صورة لا تتجاوز عمرها مئتين سنة وأنه مجرد انعطاف في معرفتنا وسوف يختفي عندما تتخذ تلك المعرفة شكلا آخراً جديدا «

إذن فوكو أراد أن يفهمنا بأن الإنسان مخلوق حديث العهد ليس له ماضي ولا ثقافة ولا سلف ولا أصل وأن ذلك الإنسان ليس سوى أكثر من حدث معرفي مؤقت ولقد عملت على ظهوره مجموعة من الشروط والأوليات التي صنعت ثقافة القرن التاسع عشر، فالإنسان الحديث محكوم عليه بالاندثار وذلك عندما تبدأ أسس تلك الحضارة في التصدع وحسب" فوكو" الإنسان ليس أكثر من وصفه كائن عابر على سطح المعرفة .

يوضح أيضاً" ميشال فوكو" بأنه لم يعد الفكر المعاصر بإمكانه أن يتنفس وينمو ويزدهر الا في فضاء غياب الإنسان نفسه ولقد ساعدته تنبؤات نيتشه عندما أشار إلى موت الإله والذي سوف يعقبه موت الإنسان يقول " ميشال فوكو "« في أيامنا هذه، لا يزال نيتشه

[1]نفس المرجع السابق، ص52
[2]ميشال فوكو، هم الحقيقة، ص30

يمثل من بعيد نقطة الانعطاف في فكرنا فقد أكد ليس على موت الله فحسب على نهاية الإنسان أو موت الإنسان أيضاً[1] ...

ربما البعض منا لا يفهم تفكير فوكو حول الإنسان و العلوم الإنسانية فهو لا يقصد موت الإنسان يعني الموت البيولوجي كما نعرفه بل أراد أن يجعل هذا الإنسان متحررا من كل ما كان يعانيه من قيود طمست حريته و أفكاره، كذلك يبرر أن غياب أو اختفاء هذا الكائن لا يعني زوال العلوم الإنسانية إذ يقول:« إن اختفاء الإنسان هذا، في ذات اللحظة التي كان البحث عنه قائما، إلى حدود جذوره، لا يعني أن العلوم الإنسانيّة ستزول وتختفي، فهذا ما لم أقله قط، ولكني أقول أن العلوم الإنسانيّة ستنتشر الآن في أفق لن تعد تسده النزعة الإنسانيّة أو تحدده. إن الإنسان يختفي في الفلسفة، لا كموضوع للمعرفة، بل كذات تتمتع بالحرية والوجود[2] ».

إضافة إلى ذلك نجد فوكو يؤكد منذ البداية أن الإنسان لم يوجد قبل نهاية القرن الثامن عشر، لقد صنعته المعرفة الحديثة بأنواعها المختلفة اللغوية والاقتصادية والبيولوجية و لعله من تحصيل الحاصل أن نؤكد هنا أن الإنسان المقصود ليس الإنسان العادي بشحمه ولحمه، ولكنه الإنسان بوصفه أداة معرفة، فقد أزاحت عنه العلوم غشاء القداسة وأصبح عرضه للتحليل والتشريح وأصبح يوصف بالجنسية كما يوصف بالنطق أي الإنسان كما هو في الواقع وليس انسان الفلاسفة. و لتأكيد نظريته يقول فوكو:« إن الإنسان بوصفه حقيقة كثيفة و أولية، وبوصفه شيئا صعبا، وموضوعا لكل معرفة ممكنة لم يكن له أي مكان ضمن العصر الكلاسيكي... ذلك أن بعض ما له علاقة بالعلوم الإنسانية(مثل الاقتصاد والبيولوجيا و الفلولوجيا) كانت مستبعدة من خارطة الفكر الكلاسيكي أو المعرفة الكلاسيكية « [3]

[1] د. عمر مهيبل، البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، ص89
[2] ميشال فوكو، هم الحقيقة، ص30
[3] د. عمر مهيبل، البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، ص80

إضافة لذلك أن ميشال فوكو لا ننسى أنه جاء للرد على فلاسفة العصر الحديث أمثال " رونيه ديكارت" و غيره حول المعرفة أساسها و منبعها الوحيد هو الإنسان، ففوكو يؤكد بأن هذه المعرفة التي منبعها العقل البشري ستكون قابلة للزوال و الاختفاء، بحكم أن هذه المعرفة ليست شيئا دائما و ثابتا بل هي مرتبطة بالبنية الثقافية و الاجتماعية و اللغوية لعصر معين، على مر التاريخ تتغير هذه البنيات و بالتالي تتغير مفاهيمنا و معارفنا، و بالتالي فكرة " موت الإنسان " لدى فوكو هو نتيجة لتغير البنية المعرفية، ففوكو يعتقد أن التحولات في العلوم الإنسانية و الفلسفة ستشير إلى تراجع الفهم الحديث للإنسان كمركز للمعرفة وبالتالي مع تطور هذه العلوم أصبح يظهر ما كنا نعتقده حقائق ثابتة عن الإنسان لا يمكن التشكيك فيها، هي في الواقع بناءات ثقافية و زمنية... و بالتالي فوكو يقدم مثالا توضيحيا في مجال الطب و النفس، إذ كان في السابق ينظر إلى الجنون كحالة مرضية مرفوضة اجتماعيا، لكن مع تطور العلوم النفسية بدأت تظهر تحليلات جديدة تتعامل مع الجنون كجزء من التجربة الإنسانية المتنوعة، هذا النوع من التحليلات يعيد تشكيل فهمنا لما هو " الإنسان "يقول د. عمر مهيبل:« فابتداء من منتصف القرن السابع عشر أصبح الجنون لا يمثل نهاية العالم، ولا نهاية الإنسان و الموت، ولا يمثل وجها آخرويا، في حين أن الجنون كان يعد، وطوال القرون الماضية بمثابة مرض من الأمراض التي تمارس عليها أقصى أنواع النبذ والتطهير والتهميش كمرض البرص الذي أصاب أوروبا، لكن ومع تقهقر هذا المرض مع نهايه الحروب الصليبية حولت المعتقلات التي كانت قد أقيمت خصيصا لمرضى البرص إلى معتقلات يجمع فيها المجانين والمنبوذين والمهمشين.. إلخ[1]«

و بالتالي فكرة" موت الإنسان " عند فوكو تعني انهيار الفكرة التقليدية عن الإنسان كمركز للمعرفة، و استبدالها بفهم أكثر تعقيدا و تنوعا يتجاوز البنية المعرفية التي نشأت منذ عصر النهضة، بمعنى أن فوكو أراد أن يوصل لنا بأن فكرة " موت الإنسان " أو اختفاءه يعني ذلك موت مفهوم معين للإنسان و ليس الموت المادي له. يقول د. عمر مهيبل:«

[1]د. عمر مهيبل، من النسق إلى الذات، ص49

الواقع أن الصورة قد تتوضح أكثر إذا ما أخذنا بعين الاعتبار ما كان قد أدلي به فوكو بعد صدور كتابه وهو انه أراد قتل إنسان معين، ومحدد وهو إنسان الفلاسفة إنسان يختلف بالطبع الإنسان الحقيقي[1] «...

[1]د. عمر مهيبل، البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، ص116

المبحث الثالث: أركيولوجيا العلوم الإنسانيّة، قراءة في "الكلمات و الأشياء":

تمهيد :

إن الحديث عن أركيولوجيا العلوم الإنسانيّة هو الحديث عن أهم كتب الفيلسوف الفرنسي "ميشال فوكو" هذا الكتاب الذي حقق به نجاح مبهر، رغم ما تعرض له من انتقادات

ومنه سنقوم ببطاقة قراءة حوله من خلال التعريف و تقديم و تحليل أهم ما جاء فيه حتى يتسنى للقارئ فهم الكتاب و أهم المفاهيم التي يعالجها، مما يسهل عليه استيعاب الأفكار المعقدة التي تناولها في هذا الكتاب « الكلمات و الأشياء»، إذ قراءة هذا الكتاب تتطلب منا جهدا فكريا لفهم الإطار الذي انطلق منه فوكو و هذا ما سنقوم به ...

١/الوصف الشكلي :

أ/عنوان الكتاب الأساسي و العنوان الفرعي :

كتاب « الكلمات و الأشياء»، و العنوان الصغير للكتاب « أركيولوجيا العلوم الإنسانيّة» .

ب/المؤلف وسيرته الذاتية :

ميشال فوكو (1926،1984)

مؤرخ و فيلسوف فرنسي، ارتبط اسمه بالحركات البنيوية و ما بعد البنيوية. له تأثير واسع ليس فقط في الفلسفة و لكن أيضاً على نطاق واسع في تخصصات العلوم الإنسانيّة و الاجتماعية .

ولد فوكو في مدينة بواتييه بفرنسا في 15أكتوبر 1926، كانت فترة دراسته مضطربة نفسيا و لكنه أظهر تفوقا على المستوى الدراسي، بدأ في دخول الحياة الأكاديمية في حقبة الستينيات حيث شغل عده مناصب في الجامعات الفرنسية قبل انتخابه في عام 1969

كأستاذ لتاريخ الفكر في المؤسسة المرموقة« الكوليج دي فرانس» حتى وفاته منذ العام1970

أصبح فوكو ناشطا على المستوى السياسي حيث كان المؤسس لجمعية أخبار السجون وتظاهر دفاعا عن حقوق المثليين و المجموعات المهمشة الأخرى، حاضر كثيرا خارج فرنسا وخصوصا في الولايات المتحدة الأمريكية و في عام 1983 وافق على أن يدرس بشكل سنوي في جامعة كاليفورنيا ببيركلي، هو ضحية مبكرة لمرض الإيدز، توفي فوكو في 25 يونيو 1984. بالإضافة لأعماله التي تم نشرها في حياته، ثم نشر محاضراته في الكوليج دي فرانس بعد وفاته وهي تتضمن توضيحات وامتدادات لأفكاره .

من الصعب التفكير في فوكو كفيلسوف، فتكوينه الأكاديمي في مجال علم النفس وتاريخه بنفس القدر في الفلسفة، كتبه في الغالب هي تواريخ لعلوم طبية و الاجتماعية، بالإضافة إلى أن شغفه كان أدبيا وسياسيا ومع ذلك فكل أعمال فوكو يمكن أن تكون مثمرة فلسفيا إذا قرات من خلال أحد البعدين التاليين أو كلاهما: كإضطلاع بالقيام بالمشروع الفلسفي النقدي التقليدي من خلال نمط(تاريخي) جديد وكنقد لأفكار الفلاسفة التقليديين[1] .

ت/المترجم و سيرته الذاتية :

مطاع الصفدي و آخرون

مطاع الصفدي (2016/1929)

مفكر سوري أسس مركز الإنماء القومي، ورئيس تحرير مجلته الفكر العربي المعاصر، بدأ مساره الفكري السياسي بنزعة وجودية قومية، قريبة من الأفكار البحثية الأولى مصاغة في قوالب الالتزام السارتري، بعد هذه المرحلة الوجودية، انتقل إلى فلسفة ما بعد الحداثة التي أصبح من روادها ونشر بها في الثقافة العربية، تهيمن على كتاباته مصطلحات وأفكار الفلاسفة الفرنسيين الجدد (ميشيل فوكو، جيل دولوز، جاك دريدا)

[1]جاري جوتنج، ميشيل فوكو، ترجمة محمد سعد أمين، موسوعة ستانفورد للفلسفة .

من مؤلفاته: فلسفة القلق، الثورة في التجربة، استراتيجية التسمية في نظام الأنظمة المعرفية، نقد العقل الغربي: الحداثة ما بعد الحداثة[1] .

ث/تاريخ النشر، ع الطبعات، مكان النشر، مؤسسة النشر و التوزيع :

نشر الكتاب بالفرنسية عام(1966)، ثم ترجم إلى الإنجليزية عام (1970)، ثم نشر بالعربية(1990,1989)، طبع إلى عدة طبعات، بلد النشر: بيروت لبنان، مؤسسة النشر و التوزيع: مركز الإنماء القومي .

ج/حجم الكتاب :

كتاب ورقي غلاف عادي ذو حجم متوسط، عدد صفحاته (317 .(

ح/فهرس الكتاب :

تضمن الكتاب ما يلي :

قسمين« القسم الأول»: يتضمن ستة فصول، و «القسم الثاني»: يتضمن أربعة فصول .

و هي كالتالي :

القسم الأول :

الفصل الأول: الوصيفات

الفصل الثاني: نثر العالم

الفصل الثالث: التمثيل

الفصل الرابع: التكلم

الفصل الخامس: التصنيف

الفصل السادس: المبادلة

[1]الدكتور السيد ولد أباه، أعلام الفكر العربي، ط1،بيروت، الشبكة العربية للأبحاث و النشر، ص174.

القسم الثاني :

الفصل السابع: حدود التمثيل

الفصل الثامن: العمل، الحياة و اللغة

الفصل التاسع: الإنسان و ازدواجيته

الفصل العاشر: العلوم الإنسانيّة

لقد ابتدأ الكتاب بما لا يمكن أن نسميها بمقدمة، إذ سماها« مطاع الصفدي» بالحداثة البعدية(على هامش النص)، " لا تطمح هذه الكلمة حتى أن تكون مقدمة، لأن أية مقدمة انما تنصب فخا لتغذو جزءا مما تقدمه، في حين أنها تدعي اختيار العتبة دون ولوج البيت، لذلك نعتبر هذه الكتابة جزءا من هامش على كتابة فوكو[1] ."

ثم بمقدمة ميشال فوكو و قسمين كما ذكرناهم سابقا في الفهرس .

٢/تحليل مضمون الكتاب :

أ/سياق تأليف الكتاب (السياق الفكري، التاريخي و موقع و أهمية الكتاب في مؤلفات و النشاط الفكري للمؤلف)

السياق الفكري و التاريخي لتأليف الكتاب :

السياق الفكري :

لقد جاء كتاب «الكلمات والأشياء» في وقت كانت فيه الفلسفة البنيوية هي السائدة في الفكر الفرنسي، إذ استلهم فوكو بعض أفكاره من هذه المدرسة لكنه أيضاً تجاوزها من خلال طرحه لمفهوم "الأركيولوجيا" الذي يرفض الأفكار القائلة بأن المعرفة تتطور بشكل تدريجي نحو الحقيقة المطلقة، بدلا من ذلك يرى فوكو بأن المعرفة هي نتاج لسياقات تاريخية معينة تتحكم فيها أنظمة خطابية معقدة ترتبط بالسلطة والقوة وبالتالي باعتبار فوكو جزءا من هذه

[1]ميشال فوكو، الكلمات و الأشياء، ص5.

الحركة أو المدرسة البنيوية نجده اهتم بدراسة الأسس التي تقوم عليها المعرفة الإنسانية خصوصا تلك التي تشكل علوم الإنسان ....

السياق التاريخي :

عندما تم صدور كتاب «الكلمات و الأشياء» في عام (1966) كان المجتمع الغربي يشهد العديد من التحولات الاجتماعية والسياسية، اذ كانت فترة الستينيات مليئة بالأحداث التي أثرت على الفكر الغربي مثل " حركة الحقوق المدنية في الولايات المتحدة الأمريكية (1865،1896)، و التي كان هدفها القضاء على التمييز العنصري كذلك نجد إضرابات الطلبة كما تعرف بأحداث ماي(1968) في فرنسا، و كذلك انتشار و تطوّر الفكر النقدي الماركسي ...

فوكو الذي كان يعمل كأستاذ في" الكوليج دي فرانس" بدأ بتطوير مقاربة جديدة للتاريخ والفكر مشيرا إلى أن الأنظمة المعرفيّة التي تهيمن على المجتمعات ليست بثابتة بل تتغير عبر الزمن بناء على تحولات عميقة في البنى الاجتماعية و الثقافية، ففي كتاب" الكلمات والأشياء" يقوم فوكو بتحليل أنماط الفكر التي شكلت معرفة الإنسان عبر التاريخ بدءا من عصر النهضة وصولا إلى العصر الحديث .

موقع و أهمية الكتاب في مؤلفات و النشاط الفكري للمؤلف "ميشال فوكو :"

يقع الكتاب ضمن مواكبة" ميشال فوكو" لسياق الوعي الغربي وتحولات الحداثة وما بعد الحداثة بمعنى أن كتاب" الكلمات والأشياء" يعبر بصورة أو بأخرى عن الوضع العام في أوروبا خصوصا الجانب المعرفي وعلاقة الإنسان بالمعرفة والتحولات الكبرى التي شهدها الغرب في سياقات وعيه بالإنسان كأداة من أدوات المعرفة التي بات بعيدا عن التعالي والقداسة التي كان عليها من قبل، إذ تكمن أهمية الكتاب كذلك في كونه يحمل إشارات واضحة على قدرة العقل على إعادة ترتيب أنظمته المعرفية وفتح المجال أمام قراءات جديدة تشمل النظم المعرفية والعقلية وإمكانية تجاوز القراءات السابقة للإنسان، وأنه حاول ولأول مرة إحداث طفرة في مسألة الوعي الغربي بالإنسان وإخضاعه للابستيمولوجيا لرفع القدسية

والتعالي وجعله موضوعا للدراسة مثله مثل باقي الظواهر الأخرى، كذلك يعد الكتاب نقطة تحول في الفكر الفلسفي لأنه يطرح أسئلة جوهرية حول كيفية فهمنا للإنسان و العالم من حولنا. كذلك يعد الكتاب منطلقا للأعمال اللاحقة لفوكو التي تتناول مواضيع " السلطة، المعرفة،السجن،العقاب" و يمثل الكتاب نقد للطريقة التي تم بها بناء المعرفة الغربية و تشكيل المفاهيم المتعلقة بالإنسان و العالم، و بالتالي يمكن اعتبار هذا المؤلف مندرجا ضمن الخط الناظم لتوجه فوكو نحو قراءة ما بعد حداثية للعقل الغربي وتحولات الوعي الأوروبي اتجاه المعرفة، وهذا ما يبرز النشاط الفكري لفوكو في سبيل بحثه عن تجديد الخطاب الكلاسيكي للنظم المعرفية في الغرب ...

باختصار يعتبر كتاب " الكلمات و الأشياء " حجر زاوية في الفكر الفلسفي الفوكاوي حيث يمثل نقطة انطلاق لتحليلاته حول العلاقة بين السلطة والمعرفة والخطاب، كما أنه يعد أحد الأعمال التي أسهمت في تكوين التراث الفكري لما بعد الحداثة .

ب/الفكرة العامة (موضوع الكتاب):

يعد كتاب " الكلمات و الأشياء " نقطة تحول في الفكر الفلسفي الحديث والمعاصر، اذ يركز هذا الكتاب على تحليل الابستيميات أو الأنظمة المعرفية عبر التاريخ، وكيف تغيرت الأسس التي تقوم عليها العلوم الإنسانية عبر العصور .

إذا تتمثل الفكرة العامة أو يتمحور موضوع الكتاب حول دراسة حفريات أو أركيولوجيا المعرفة، بحيث يتناول فوكو كيفية نشوء الأفكار والمفاهيم العلمية والمعرفية وكيف تتغير بمرور الزمن من خلال تحليل بنية الخطاب و المعرفة في ثلاث فترات تاريخية بداية من عصر النهضة مرورا بالعصر الكلاسيكي وصولا إلى العصر الحديث ...

إذا يسلط فوكو الضوء أيضاً على الكيفية التي ترتبط بها الكلمات و الأشياء بمعنى المفاهيم بالواقع وكيف تعكس هذه العلاقة تغيرات جذرية في نماذج التفكير والمعرفة يقول فوكو:« ان على الرغم من أن عنوان الكتاب هو «الكلمات و الأشياء» فان القارئ يخطئ إذا ظن أن حديث فوكو هو عن الكلمات لحالها أو الأشياء لحالها، بل انه يتحدث عن العلاقة

بين الكلمات والأشياء أي عن الكلمات والأشياء التي كونت الصور أو الاطر البنيوية المغلقة التي ميزت العقل الأوروبي منذ عصر النهضة وحتى القرن الحالي[1].«

فالكتاب يعبر عن تحول كبير في فهم فوكو للتاريخ والمعرفة، حيث يعتقد بأن المعرفة لا تتقدم بشكل تطوري بل عبر تقطعات أو قطائع وتغيرات جذرية في الأسس الفكرية التي تبنى عليها مختلف العلوم .

إضافة إلى ذلك يمكن القول أن الكتاب اهتم بموضوع الإنسان، كذلك باللغة، التاريخ بالرغم من أن فوكو ينكر أو لا يصرح بهذا المصطلح بل استبدله ب مفهوم الأركيولوجيا، إضافة إلى الحديث عن العلوم الإنسانيّة ...

ت/الأفكار الأساسية للكتاب :

يطرح " ميشال فوكو " في كتاب " الكلمات والأشياء " أفكارا أساسية تمثلت حول العلاقة بين اللغة و المعرفة و السلطة، من بينها ما يلي :

تأثير اللغة على الفكر و المعرفة :

يشير " فوكو " إلى اللغة على أنها ليست مجرد أداة للتواصل فقط، بل هي نظام معرفي يحكم كيفية تشكيل الأفكار و فهم العالم، فاللغة يمكن القول أنها تنظم المعرفة و تصنع حدود ما يمكن التفكير فيه .

الأنظمة أو الأنساق المعرفية (الإبستيميات :)

يقترح " فوكو" أن كل حقبة تاريخية لها نسق معرفي خاص بها، وهذا النسق أو النظام هو الذي يحدد ماذا يمكن أن يقال أو يفكر فيه في تلك الحقبة الزمنية، فالأنساق المعرفية هي البنيه التحتية الخفية التي تشكل المعرفة والعلم في أوقات أو حقب زمنية معينة .

[1]د. عمر مهيبل، البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، ص55

التغيرات التي طرأت على الأنساق أو الأنظمة المعرفية :

يعرض " فوكو " في هذا الكتاب بأن تاريخ الفكر الغربي باعتباره مجموعة من الانتقالات من نسق معرفي إلى آخر كالانتقال من عصر النهضة إلى العصر الكلاسيكي وصولا إلى العصر الحديث، هذه التغيرات ليست تطورا تدريجيا بل هي تغييرات جذرية في كيفية فهم الأشياء والكلمات .

الربط بين المعرفة و السلطة :

يشير " فوكو " إلى أن المعرفة ليست مستقلة عن السلطة بل تجمع بينهما علاقة تواصلية وترابطية، فالمعرفة تنتج السلطة و السلطة بدورها تشكل المعرفة .

تحليل التمثيلات و التصنيفات :

يهتم " فوكو " بتحليل كيفية تصنيف البشر للعالم وتقديم تمثيلات له، مشددا فوكو على أن هذه التصنيفات ليست محايدة بل تعكس البنية المعرفية للحقبة التي تنتمي اليها وبالتالي كتاب" الكلمات والأشياء" يمثل نقدا عميقا للتصورات التقليدية والكلاسيكية للمعرفة ويبرز الطبيعة التاريخية والثقافية للمعرفة .

ث/ملخص الكتاب :

كتاب " الكلمات والأشياء " للفيلسوف الفرنسي " ميشال فوكو "حقيقة هو كتاب صعب يستحق قراءة متأنية و بحث عميق، بحيث تكمن الصعوبة خاصة في القسم الأول من الكتاب أما القسم الثاني فهو واضح جدا للقارئ بحيث هو ميلاد للعلوم الإنسانيّة و مما يلي سنحاول إعطاء ملخص وجيز عن هذا الكتاب .

لقد قسم هذا الكتاب كتاب" الكلمات والأشياء " إلى قسمين بحيث القسم الأول عبارة عن ستة فصول في هذه الفصول توجد صعوبة فيها، فالقارئ لابد عليه دراسة فكر هذا الفيلسوف الفرنسي " ميشال فوكو " حتى يتسنى له فهم مؤلفات هذا الفيلسوف، أما القسم الثاني فهو على عكس القسم الأول فيتميز بالوضوح و السهولة للقارئ إذ يتمثل في ميلاد العلوم الإنسانيّة.

لقد ابتدأ الكتاب بما لا يمكن أن نسميها بمقدمة إذ سماها " مطاع الصفدي "بالحداثة البعدية على هامش النص« لا تطمح هذه الكلمة حتى أن تكون مقدمة لأن أية مقدمة إنما تنصب فخا لذاتها لتغدو جزءا مما تقدمه، في حين أنها تدعي اختيار العتبة دون ولوج البيت، لذلك نعتبر هذه الكتابة جزءا من هامش على كتابة فوكو[1] .«

ثم بمقدمة المؤلف" ميشال فوكو "إذ هي عبارة عن ثماني صفحات إذ يقول" ميشال فوكو" في مقدمة كتابه« لهذا الكتاب مكان ولادة في نص ل(بورخيس) لهو شاعر و كاتب أرجنتيني[2] .

في الضحكة التي تهز لدى قراءته كل عادات الفكر... إذ يستشهد هذا النص بموسوعة صينية كتب فيها أن الحيوانات تنقسم، كما نعرف نحن أن الحياة بأكملها قائمة على التقسيم مثلا تقسيم الكتب، النباتات، القارات، الغازات، الحيوانات... كلها قائمة على التفسير والتقسيم الدقيق، لكن هذه المقدمة التي ذكرها هذا النص للشاعر" بورخيس " النص الذي جعل " فوكو " يضحك كثيرا .

إذ أنه توجد أسطورة صينية هذه الأسطورة الصينية قسمت الحيوانات إلى تقسيم مضحك وغريب جدا، ليس فقط " ميشال فوكو "يضحك من هذا التصنيف يعني أنه أي إنسان آخر أو أي قارئ يقرأ هذا التصنيف سيضحك .

إذ قسمت الحيوانات فيها إلى أربعة عشر تصنيفا منها" حيوانات يملكها الإمبراطور" ، حيوانات محنطة"،" داجنة "،" خنازير رضيعة "،" جنيات البحر "،" خرافية "،" كلاب طليقة"

إلى آخره ...

[1]ميشال فوكو، الكلمات والأشياء، ص5.
[2]نفس المرجع السابق ص27/20

فيقول "ميشال فوكو" صحيح قد يكون هذه الموسوعة مثيرة للضحك لكنها أيضا مثيرة للتساؤل، إذ يتساءل " ميشال فوكو " ما الذي جعل هذه الموسوعة مقبولة عند الصينيين؟ ما الذي أسس عليه هذا التصنيف؟ وما الأرضية العقلية التي قامت عليها؟

ففوكو من خلال تقديمه لهذا المثال(الموسوعة الصينية) فهو أراد أن يوضح مفهوم النظام أو كما سماه فوكو" بالإبستيمي "، كذلك لإظهار كيف يمكن أن تكون التصنيفات التي نستخدمها لفهم العالم غير منطقية ومبنية على اعتبارات ثقافية وتاريخية معينة بدلا من أن تكون بديهية، كذلك هذه التصنيفات جعلت فوكو مندهشا منها قائلا أنها تفتح مجالا للتفكير حول كيفية تنظيم النظام المعرفي أو المعرفة، وكيف تتشكل هذه المعرفة وكيف يتم تنظيمها؟ ...

أما في الفصل الأول من كتاب" الكلمات والأشياء " للفيلسوف الفرنسي "ميشال فوكو" المعنون ب "الوصيفات" بدأه " ميشال فوكو" بنقاش مفصل وموسع حول لوحة شهيرة للرسام أو الفنان الإسباني "دييغو فيلاسكيز" لهي " وصيفات الشرف "، إذ يقول" ميشال فوكو" «إن عيني الرسام في اللحظة التي تضعان فيها المشاهد في حقل رؤيتهما تمتلكانه و ترغمانه على الدخول في اللوحة مخصصتين له مكانا هو في آن واحد متميز و إجباري[1] .«

إذا " ميشال فوكو "استخدم هذه اللوحة كنقطه انطلاق لاستكشاف مفهوم التمثيل والتصوير الواقع وكيفيه العلاقة بين الفنان والمشاهد والموضوع المرسوم، كذلك للكشف عن الترتيب المعقد للشخصيات المصورة فيها والتي كانت تتميز تارة بالظهور وتارة بالخفاء ...

في هذا الفصل يعالج" فوكو" الأفكار المتعلقة بكيفية إدراك الإنسان للعالم من خلال خاصية التمثيل، وكيف يتم التلاعب بالمساحة والزمن في اللوحة لتخلق علاقة معقدة بين الشخصيات في الصورة والمشاهد، يشير أيضا إلى أن اللوحة تعبر عن انفصال بين العالم

[1]ميشال فوكو، الكلمات والأشياء، ص31

الممثل والعالم الحقيقي أو العالم الخيالي والعالم الواقعي، حيث يظهر كيف أن الفنان ينظر إلى المشاهد و يعكس المشاهد إلى داخل اللوحة .

كما يركز " فوكو " على مفهوم " المرآة " في اللوحة، التي تعكس الملك و الملكة الموجودين خارج إطار الصورة، مما يثير تساؤلات حول من يراقب من، وهل الصورة هي انعكاس للواقع أم أن الواقع هو انعكاس للصورة .

هذا الفصل إذاً يمثل افتتاحية عميقة تقدم فوكو في تفكيكه للفكر الغربي، وخاصة الفكرة التي تقوم على الثقة المطلقة في قدرة التمثيلات (كاللغة والفن) على نقل الحقيقة كما هي، يتناول فيه فوكو عملية التصوير والتمثيل كمساحة للخيال و السلطة ويعتبرها مقدمة لاستكشاف تطور المعرفة في الثقافة الغربية أو الفكر الغربي عموما[1] .

أما في الفصل الثاني[2]المعنون ب "نثر العالم" يتحدث فيه " ميشال فوكو " عن المتشابهات الأربع، إذ يقول" ميشال فوكو "حتى نهاية القرن السادس عشر لعب التشابه دور الباني في المعرفة الثقافية الغربية بذلك الوقت[3] .

هنا وجب علينا التساؤل ما هي التشابهات التي سوف نعرفها و نضرب أمثلة كثيرة عنها؟

هي تلك التي قادت الكثير من النصوص و التأويلات، هي التي نظمت لعبة الرموز، هي التي سمحت بمعرفة الأشياء المرئية و الأشياء الغير المرئية، و بدأت تقود التمثيلات والتصويرات .

فالتشابه بين الأشياء هذه الفكرة التي كانت موجودة في نهاية القرن السادس عشر إلى بداية القرن السابع عشر، يتساءل فوكو كيف كان التشابه ينظم أشكال المعرفة؟ كان التشابه هو المعرفة إذاً كان التشابه لا متناهي الأشياء أشياء لا تشبه أشياء لا تعد ولا تحصى كيف

[1]نفس المرجع السابق ص 38/29
[2]ميشال فوكو، الكلمات والأشياء ص 39/59
[3]نفس المرجع السابق ص 39

نعرف أن نحدد الأشياء المتشابهة؟ إذاً ميشال فوكو يتحدث عن أربع أشياء جوهرية هي الأسس المهمة للتشابه و هي: التوافق، التنافس، التماثل أو القياس، وأخيرا التعاطف .

فوكو يوضح أنه في العصور الكلاسيكية كانت الأشياء تفهم وفقا للتشابهات والتماثلات حيث كان يعتقد أن هناك علاقة خفية تربط بين الأشياء .

باختصار يكمن القول أن ما نفهمه من هذا الفصل و نوضحه هو أن الطريقة التي ننظر

بها إلى العالم ونفهمه ليست طبيعية أو ثابتة بل هي نتاج ثقافي وفكري يتغير عبر الزمن .

أما في الفصل الثالث[1]

يناقش ميشال فوكو " مفهوم التمثيل "وكيفية تطوره و تأثيره على الفكر و المعرفة، إذ يتناول فوكو كيفيه تحول مفهوم التمثيل من أداة لفهم العالم في عصر النهضة إلى مفهوم مركزي في الفكر الكلاسيكي .

في العصر الكلاسيكي كان التمثيل مرتبطا بشكل وثيق باللغة حيث تعتبر الكلمات علامات تحمل في طياتها صورا ذهنية للأشياء التي تمثلها، و منه أصبح التركيز على بناء أنظمة معرفية تعتمد على مبدأ التمثيل الدقيق للعالم مما أدى إلى تطور العلوم و الفلسفة بشكل كبير في ذلك الوقت .

ففوكو يستعرض كيف أن التمثيل أصبح هو الأساس في تنظيم المعرفة وتصنيفها، فالنظم المعرفية التي ظهرت في العصر الكلاسيكي مثل: الموسوعات والقواميس كانت تعتمد بشكل كبير على فكرة التمثيل الدقيق للعالم من خلال الكلمات والصور، إذ كانت المعرفة تبنى على أساس الفهم التمثيلي حيث كان الهدف هو إعادة بناء العالم في العقل بطريقة تتوافق مع الواقع.

[1]نفس المرجع السابق، ص84/61

في نهاية هذا الفصل يبدأ فوكو في نقد هذا الفهم للتمثيل، مشيرا إلى أن التمثيل ليس بعملية بسيطة كما يعتقد بل هناك تعقيدات و صعوبات تتعلق بفكرة أن اللغة أو الصور الذهنية يمكن ان تعكس الواقع بشكل دقيق، هذا النقد الذي وجهه فوكو في هذا الجزء من الفصل سيمهد لما سيأتي في الفصول اللاحقة حيث سيناقش فوكو تحولات جديدة في الفكر و المعرفة تتجاوز فكرة التمثيل .

أما الفصل الرابع[1] :

في هذا الفصل المعنون ب "التكلم" يركز فيه فوكو على كيفية تطور اللغة وفهمها في الفكر الكلاسيكي وكيف أثر ذلك على المعرفة والعلوم، إذ يناقش فوكو فيه أيضاً العلاقة بين الكلمات و الأشياء في سياق تاريخي ويعرض كيفية تحول هذه العلاقة عبر الزمن .

إذ يبدأ فوكو هذا الفصل بالحديث عن أهمية اللغة في الفكر الكلاسيكي، حيث كانت تعتبر الأداة الأساسية التي من خلالها يمكن للإنسان أن يفهم العالم ويصنفه، فالكلمات لم تكن مجرد علامات عشوائية بل كانت تمثل الأشياء و تعكسها بشكل مباشر مما أعطى اللغة دورا محوريا في بناء المعرفة .

كما يوضح ميشال فوكو أن العلاقة في الفكر الكلاسيكي التي تجمع بين الكلمات و الأشياء كانت تفهم من خلال نظرية الدلالات، هذه النظرية تفترض أن الكلمات تحمل في طياتها معان مستقرة ودقية يمكنها تمثيل العالم الخارجي بشكل واضح، وبالتالي كانت اللغة تعتبر مرآة للعالم حيث تعكس الأشياء والأفكار بطريقة منظمة .

يتناول فوكو أيضاً في هذا الفصل دور القواعد النحوية في تنظيم اللغة وضبطها، فالقواعد لم تكن تفهم فقط كأداة لتكوين الجمل الصحيحة بل كانت تعتبر جزءا من نظام شامل يساعد على فهم العالم وترتيبه، فالقواعد اللغوية كانت تعكس النظام الطبيعي للأشياء وتساهم في تنظيم المعرفة بشكل متسق .

[1] نفس المرجع السابق ص 115/85

ففوكو يبدأ في نقد هذه الرؤية التقليدية للغة مشيرا إلى أن اللغة ليست نظاما مغلقا وثابتا بل هي ظاهره متغيرة، فاللغة حسبه تحتوي على تعقيدات تناقضات تجعل من الصعب أن تكون وسيلة مثالية لتمثيل العالم، إذ في نهاية هذا الفصل يشير فوكو إلى تحول في الفكر بحيث بدأ بالظهور في نهاية العصر الكلاسيكي، حيث بدأت اللغة تفهم ليس فقط كأداة لتمثيل العالم بل كقوة بحد ذاتها، فاللغة أصبحت تعتبر جزءا من السلطة والمعرفة ويمكن استخدامها لتشكيل الواقع أو العالم وليس فقط لتمثيله .

أما في الفصل الخامس[1] :

في هذا الفصل المعنون ب " التصنيف " يتناول فيه" ميشال فوكو" مسألة تصنيف المعرفة وكيف تشكلت الأسس التي تقوم عليها التصنيفات في العلوم الإنسانية، ففوكو إذاً يناقش كيفيه تنظيم المعرفة في حقب زمنية مختلفة ويسلط الضوء على التغيرات الكبرى التي طرأت على نظام التصنيف من عصر النهضة إلى العصر الكلاسيكي حتى العصر الحديث، إذ يركز على الطريقة التي يتبعها الإنسان في فهم وتصنيف العالم من حوله، مشيرا إلى أن كل حقبة تاريخية تمتلك هذا المصطلح الجديد الذي أتى به فوكو لهو " إبيستيمي " أو كما يسمى بالنظام المعرفي، يعني لكل فترة تاريخيّة لها نظام معرفي خاص بها الذي يحدد كيف تبنى المعرفة .

إذ يستعرض " فوكو " تحول نظام التصنيف من التركيز على التشابهات والتمثيلات في عصر النهضة إلى نظام يعتمد على التحليل والتفكيك والتصنيف في العصر الحديث، مشيرا بأن التصنيفات لها دور قوي وفعال في تشكيل السلطة والمعرفة في المجتمعات، فهذا الفصل الهدف منه هو الكشف عن الطرق التي يتم بها بناء أنظمة المعرفة وتصنيفها عبر التاريخ ...

[1]نفس المرجع السابق، ص148/119

أما في الفصل السادس[1]

في هذا الفصل المعنون ب " المبادلة " يتناول " فوكو" في هذا الفصل مفهوم المبادلة وكيفية تنظيم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية من خلال أنظمة المبادلة والتبادل، ففوكو يركز في هذا الفصل على دراسة كيفية تطور مفهوم القيمة وكيفية تحديدها ضمن السياقات الاقتصادية والمختلفة عبر الزمن، إذ يعرض كيف كانت المبادلة جزءا أساسيا من تنظيم المجتمع البشري، ويبين التغييرات التي طرأت على أنظمة التبادل من الاقتصاد التقليدي إلى الاقتصاد الحديث .

كذلك يناقش " فوكو "كيف أن مفهوم القيمة ليس ثابتا بل يتغير بتغير المجتمعات والأنظمة المعرفية التي تحكمها، إذ يوضح فوكو أن الطريقة التي يتم بها تحديد قيمة السلع والخدمات ترتبط بعلاقات القوى والسلطة وبالأطر الثقافية والاجتماعية التي توجد في كل حقبة زمنية .

كما يتطرق فوكو أيضاً إلى تأثير المبادلة على تشكيل العلاقات الاجتماعية والاقتصادية، ويستكشف كيف أن الأشكال المختلفة للتبادل، من المقايضة إلى الأسواق المالية الحديثة، تعكس تطورات عميقة في فهم الإنسان للعالم، وتؤثر في كيفيه تنظيم المجتمع. ففي هذا الفصل ما يمكن توضيحه هو أن نظام المبادلة ليس مجرد عملية اقتصادية بحتة بل هو أيضاً عملية اجتماعية ومعرفية تؤثر على تشكيل وتطوير المجتمعات والأنظمة المعرفية عبر العصور .

حقيقة ما يمكن قوله أن القسم الأول من كتاب " الكلمات والأشياء " توجد به صعوبة لأن معظم ما جاء به فوكو في هذه الفصول التي حاولنا تقديم ملخص وجيز عنها ليس بالشيء الهين فقراءة فوكو ومعظم ما ترك من مؤلفات يحتاج جهدا و وقتا طويلا حتى يتسنى و لو تقديم بعض ما جاء به هذا الفيلسوف الفرنسي .

[1]نفس المرجع السابق، ص185/151

بعد تحليلنا للقسم الأول و فصوله نقوم الآن بدراسة و تحليل أهم ما جاء في القسم الثاني و فصوله :

الفصل السابع[1]

في هذا الفصل المعنون ب " بحدود التمثيل " يركز فيه فوكو على مفهوم " التمثيل " الذي سبق و أن تناولناه في القسم الأول من الفصل الثالث، إذ يوضح فوكو من خلاله كيف تغير و تطور هذا المفهوم بتغير و مرور الأزمنة، إذ يبدأ فوكو بتوضيح كيف كان الفكر الغربي في عصر النهضة يعتمد على التشابه والتماثل بين الأشياء لفهم العالم، لكن في العصر الكلاسيكي انقلبت الموازين إذ تحول الفكر إلى محاولة ترتيب وتصنيف الأشياء على أساس الاختلافات بينها مما أدى الى ظهور مفهوم التمثيل، ففي هذا العصر يصبح التمثيل مركزيا في الفكر الغربي،إذ يفهم التمثيل على أنه الوسيلة التي يتم من خلالها تنظيم المعرفة وتصنيفها ويعتمد الفكر في هذا العصر على فكرة أن اللغة والرموز يمكن أن تعكس الواقع بشكل دقيق .

ففوكو إذاً يوضح كيف بدأ التمثيل في فقدان قيمته مع بداية العصر الحديث، إذ يشير الى أن ظهور العلوم الإنسانية والتوجه نحو تحليل الأبعاد اللاواعية والمجتمعية للمعرفة ساهم في زعزعه مفهوم التمثيل، إذ بدأ الفكر الحديث بالاعتراف بأن التمثيل ليس دائما مرآة دقيقة عاكسة للواقع بل هو مبني على أسس لغوية وثقافية قد تكون متحيزة .

إذ في نهاية هذا الفصل يتم تحليل ما يسميه فوكو" بحدود التمثيل" أي النقاط التي يفشل فيها التمثيل في رسم أو نقل الواقع بشكل دقيق وصحيح، هنا يدخل فوكو في مسائل تتعلق باللغة والذات والإدراك ويشير إلى أن هذه الحدود تفتح المجال لفهم أعمق وأكثر تعقيدا للمعرفة والواقع .

[1]نفس المرجع السابق، ص213/189

الفصل الثامن[1]

في هذا الفصل المعنون ب "العمل الحياة و اللغة" يتناول فيه فوكو التحولات الفكرية التي طرأت في العصر الحديث من خلال فهم الإنسان والعالم، وهذا ما تجسد من خلال ثلاث محاور رئيسية لهي: العمل الحياة واللغة .

ففوكو في هذا الفصل يوضح كيف أن الانتقال من عصر النهضة إلى العصر الكلاسيكي وصولا إلى العصر الحديث، هذا الانتقال إلى العصر الحديث غير و قلبت فيه الموازين و ذلك من خلال ظهور علوم جديدة ركزت على دراسة هذا الكائن الحي لهو الإنسان و الإحاطة بكل ما يتعلق به من كل الجوانب، من بينها نجد علم الاقتصاد، البيولوجيا، اللسانيات ...

إذ بداية سوف نتحدث عن العمل، فهو في العصر الحديث أصبح مرتبطا بشكل وثيق بالاقتصاد والسياسة، ففوكو يناقش كيف تطورت الأفكار حول العمل من مجرد نشاط مادي أو حرفة يمتهنها البعض منا إلى مفهوم أكثر تعقيدا يتضمن العلاقات الاجتماعية والبنى الاقتصادية، فظهر العمل كموضوع للدراسة والتحليل في إطار علم الاقتصاد الذي بدأ في تناول قضايا مثل الإنتاج والتوزيع ...

أما الحديث عن الحياة ففوكو يتناول تطور هذا المفهوم من خلال ظهور علم البيولوجيا، ففي العصر الكلاسيكي كانت الحياة تعتبر جزءا من النظام الطبيعي الكلي ولكن مع العصر الحديث تغيرت الأمور، إذ بدأت الحياة تدرس بشكل مستقل بحد ذاته إذ ظهرت مفاهيم جديدة حول الكائنات الحية و التطور الوراثة مما أدى إلى تغير جذري في فهمنا للطبيعة البشرية والحياة بأكملها .

[1]نفس المرجع السابق، ص250/215

أما المحور الثالث و الأخير لهو " اللغة " ففوكو يناقش كيف تغيرت تلك النظرة إلى اللغة من كونها ليست مجرد أداة للتواصل بل هي موضوعا للدراسة العلمية في علم اللسانيات .

إذ نجد ميشال فوكو يولي أو يعطي أهمية كبرى للغة، هذا ما تجسد ليس فقط في كتابه الكلمات و الأشياء بل في العديد من كتبه إذ أعطى مكانة للغة، إذ يقول د، الزواوي بغوره« إن مكانة اللغة وأهميتها عند ميشال فوكو تتأكد ليس كما ذهب إليه أغلب الدارسين من خلال الكلمات والأشياء، بل تتأكد من خلال دراسته الأولى حول الجنون والمرض، حيث نجده يتحدث عن لغة الجنون في كتابه" تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي "، عن تلك اللغة التي أعلن عنها بقوله إنه لا يريد« إقامة تاريخ للغة، لغة الجنون عن طريق لغة الطب العقلي أو النفسي ولكن إقامة أركيولوجية الصمت .«

كما تناول اللغة بالدرس في كتابه الثاني« مولد العيادة من أجل أركيولوجية النظرة الطبية» هذا العمل الذي يعتبره العديد من الدارسين من الأعمال القريبة و المتأثرة بالنزعة البنيوية. وهذا راجع إلى مكانة اللغة والمفاهيم التي استعملها في تحليلاته، كمفهوم العلامة و الدال المدلول والتزامن[1] .

إضافة لما سبق ففي العصر الكلاسيكي كانت اللغة تفهم على أنها أداة للتمثيل، ولكن في العصر الحديث بدأت تدرس كظاهرة مستقلة لها قواعدها و أنظمتها الخاصة، هذا التحول سمح بفهم أعمق لدور اللغة في تشكيل المعرفة .

إذاً من خلال هذه العلوم (علم الاقتصاد، البيولوجيا، علم اللسانيات)، أصبح الإنسان محورا مركزيا للدراسة في العصر الحديث، إذ سيناقش ميشال فوكو كيف أدت هذه التحولات إلى ظهور الإنسان كفئة معرفية مستقلة تدرس من خلال العمل والحياة واللغة .

[1]د. الزواوي بغوره، ميشيل فوكو في الفكر الغربي المعاصر، ص17

أما الفصل التاسع[1]

في هذا الفصل المعنون ب "الإنسان و إزدواجيته" يتناول ميشال فوكو مفهوم الإنسان وازدواجيته كموضوع للمعرفة وكيف أصبح الاهتمام بالإنسان كموضوع لهذه المعرفة .

ففوكو يستعرض لنا التحول الذي حدث في الفكر الغربي منذ القرن السابع عشر، حيث أصبحت "الإنسانية" محورا أساسيا للبحث والفكر الفلسفي، إذ يشير ميشال فوكو إلى أن الإنسان لم يكن دائما في مركز المعرفة وأن هذا التحول أدى إلى ظهور ازدواجية في مفهوم الإنسان، فهو في الوقت ذاته الكائن المنتج للمعرفة وهو أيضاً الموضوع الذي تخضع له هذه المعرفة .

ففوكو يتطرق إلى هذه الإزدواجية من خلال تحليل الأنثروبولوجيا الذي هو "علم الإنسان" حيث يجمع بين الجوانب المختلفة للإنسان منها الجوانب البيولوجية الثقافية الاجتماعية، هذه الإزدواجية تظهر في كيفية تعامل الفلسفة والعلوم الإنسانية مع الإنسان ككيان مزدوج من جهة هو جزء من هذه الطبيعة، ومن جهة أخرى هو كائن حر واع بما يقول وماذا يفعل .

إذاً فوكو ينتقد هذه النظريات التي تتعامل مع الإنسان كوحدة ثابتة، ويبرز كيف أن هذه النظرة تجعل من الإنسان مركزا لكل شيء مما يؤدي إلى تجاهل تعقيداته وتنوعاته .

في الختام يطرح فوكو تساؤلات حول مستقبل الفكر الإنساني والتوجهات التي ستعيد تشكيل نظرتنا إلى الإنسان في سياق معرفي مختلف .

و ختاما في الفصل العاشر[2]

المعنون ب " العلوم الإنسانيّة "في هذا الفصل يبدأ ميشال فوكو بتوجيه نقد جذري للعلوم الإنسانيّة، موضحا كيف أن هذه العلوم تأسست على مفاهيم محددة عن الإنسان والتي

[1]ميشال فوكو، الكلمات والأشياء، ص282/253
[2]نفس المرجع السابق، ص313/283

تم تشكيلها وتفسيرها عبر العصور، يبين أيضاً أن العلوم الإنسانيّة هي نتاج لتطور الفكر الغربي وليست اكتشاف للحقيقة المطلقة عن الإنسان .

ميشال فوكو يشير أيضاً إلى أن ظهور العلوم الإنسانية يمثل نقطة تحول هامة، إذ ظهرت في القرن التاسع عشر، بحيث أصبح الاهتمام بالإنسان أكثر و أصبح هو موضوعا للمعرفة بعدما كان دارسا أو باحثا عنها .

كذلك يشير ميشال فوكو في هذا الفصل إلى فكرة" اختفاء أو موت الإنسان " ففي الصفحات الأخيرة من هذا الكتاب يوضح فوكو بأن الإنسان كائن قابل للزوال و الاضمحلال إذ يقول ميشال فوكو: « مع ذلك هناك شيء واحد أكيد: وهو أن الإنسان ليس المشكلة الأقدم أو الأكثر ثباتا التي طرحت على الفكر الإنساني. فإذا ما أخذنا فترة زمنية قصيرة نسبيا وحيزا جغرافيا محددا كما هو الشأن بالنسبة للثقافة الأوروبية منذ القرن السادس عشر فإننا سنتأكد في إطارها من أن الإنسان اختراع حديث العهد.. والواقع أن من بين كل الطفرات العديدة التي أثرت على معرفه الأشياء ونظامها وعلى معرفة الهويات والاختلافات والخصائص والمعادلات والأشياء وباختصار في مركز كل حلقات هذا التاريخ العميق للواحد ذاته هناك طفرة واحدة ابتدأت منذ قرن و نصف القرن والتي هي الآن في طورها النهائي التي سمحت بظهور شكل أو هيئة الإنسان... وعموما فالإنسان ليس إلا اختراعا تبين لنا أركيولوجيا فكرنا بكل سهولة تاريخ ولادته، وربما نهايته الوشيكة[1] .»

في الختام يستعرض ميشال فوكو كيف أن العلوم لإنسانية بدلا من أن تكون وسيلة لفهم الإنسان بشكل أفضل قد تساهم في إعادة تشكيله وفقا لمعايير معرفية معينة، إذ ينهي فوكو بالقول بأن الفكر الغربي قد يتحرك نحو مرحلة جديدة يتغير فيها مفهوم الإنسان كليا .

إن قراءة فكر فوكو ومؤلفاته ليس بالشيء الهين فعناوينها تحوي الكثير و الكثير، ففي هذا الكتاب " الكلمات والأشياء " نلاحظ أن عنوانه بسيط لكن خفاياه أصعب يقول د. عمر

[1] د. عمر مهيبل، البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، ص90

مهيبل:« إن على الرغم من أن عنوان الكتاب هو« الكلمات والأشياء» فان القارئ يخطئ إذا ظن أن حديث فوكو هو عن الكلمات لحالها أو الأشياء لحالها، بل انه يتحدث عن العلاقة بين الكلمات والأشياء أي عن الكلمات والأشياء التي كونت الصور أو الأطر البنيوية المغلقة التي ميزت العقل الأوروبي منذ عصر النهضة وحتى القرن الحالي .

ج/مفاهيم الكتاب :

كتاب " الكلمات والأشياء " للفيلسوف الفرنسي ميشال فوكو حقيقة هو كتاب مليء بمفاهيم عديدة و سنتطرق إلى أبرزها :

١/التمثيل:

(Representation)

إن الحديث عن التمثيل أمر مهم إذ لابد من الإشارة بأن التمثيل ارتبط في شهرته بالناقد الفلسطيني" ادوارد سعيد" لكنه مدين في ظهوره وتوظيفه في مجال الدراسات الثقافية إلى الفيلسوف الفرنسي " ميشال فوكو ."

فخلال العصر الكلاسيكي حوالي القرن السابع عشر و الثامن عشر تحول التركيز من التشابه الذي كان معروفا في عصر النهضة إلى التمثيل، هنا أصبحت اللغة أداة لتمثيل العالم بوضوح و دقة بحيث تحولت المعرفة إلى نظام من الرموز والعلامات .

يمثل التمثيل عند ميشال فوكو إحدى المراحل الرئيسية للإبستيم الغربي: العصر الكلاسيكي (1800/1600)(فوكو 1976 .(

التشابه_ أي بصمات النظام الإلهي في العالم هناك_ ونشاط التعرف على المقارنات أو التعاطف بينهما، وفكر رموز ومقارنة العلامات والآثار، هو ما يميز أشكال المعرفة في الفتره السابقة: عصر النهضة، في العصر الكلاسيكي تكونت التمثيلات الدقيقة للعالم، التي وضعها ديكارت في ذهن الموضوع، هي سبيل للخروج من لعبة التشابه اللانهائية هذه .

لكن بين 1975و 1825« اكتسبت الكلمات والطبقات و الثروة نمطا من الوجود لم يعد متوافقا مع التمثيل "(1976فوكو233). مع الإشارة في التاريخ الطبيعي والاقتصاد

والقواعد إلى الهياكل الأساسيّة غير المرئية، فإن" وجود ما يتم تمثيله يقع خارج التمثيل"(252 .(

بعبارة أخرى بالنسبة لفوكو، إذا ظل التمثيل نموذجا معرفيا في العصر الحديث بعد عام1800، فان التمثيلات كمنتجات للمعرفة تلامس حدودها كأدوات معرفية عملية في بداية القرن التاسع عشر[1] .

التمثيل عند ميشال فوكو يأخذ بعدا أوسع وأكثر أهمية في العلوم الإنسانية، بشكل عام، فهو في تصوره أكثر من موضوع في هذه العلوم، بل هو ميدانها الذي تكون بهذه العلوم كنوع من المعرفة–معرفة ممكنة، فالتمثيل عنده نوع من الاستغناء عن الشيء بصورته ".[2]

٢/العلوم الإنسانية:

Sciences humaines

إن مفهوم العلوم الإنسانيّة هذا المفهوم عند الفيلسوف الفرنسي" ميشال فوكو " يعد ضروري و هام، إذ خصص له في كتابه " الكلمات والأشياء " فصلا تحدث فيه عن هذه العلوم، بالإضافة لذلك لابد من الإشارة بأن ميشال فوكو يتجاوز الفهم التقليدي لهذه العلوم كفروع معرفيه تدرس الإنسان، بل يعتبرها بمثابة بنية معرفية ظهرت في تاريخ محدد وتعبر عن طريقه معينة لفهم الإنسان وإدراكه .

إن العلوم الإنسانيّة على حداثة نشأتها إلا أنها تعتبر امتدادا لما يسمى «بالعلوم الأخلاقية» قديما، حيث ترتبط ارتباطا وثيقا بدراسة السلوكات الإنسانيّة فرديا وجماعيا، مما يوضح ذلك قول الفيلسوف الفرنسي "أندريه لالاند" بقوله " هي تعبير حديث لكنه يعم أكثر فأكثر، للدل على ما كان متفقا من قبل على تسميته «بالعلوم الأخلاقية»، يزداد تشديد هذا

[1]المبحث الثالث من القسم الأول في كتابGeography Cultural
علا سودرستروم
ترجمة بتصرف
أ.د. مضر خليل عمر
[2]نادر كاظم، تمثيلات الآخر، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط1،بيروت2004،ص450.

التعبير على السمات الممكن رصدها خارجيا، لطريقة تصرف البشر و سلوكهم، فرديا أو جماعيا[1] "

إضافة إلى ذلك يمكن حصر العلوم الإنسانية في اختصاصها بدراسة الإنسان من حيث السلوك، إذ لا يدخل ضمن العلوم الإنسانيّة« علم التشريح والفيزيولوجيا» أي هناك مقاربة ابستمولوجية ارتبطت بظهور علوم الإنسان بعلوم الطبيعة، فيمكن القول إذا أن هناك محاولة لتشكيل ملامح العلوم الإنسانيّة تماما كما تشكلت العلوم الطبيعية من قبل وهذا ما يؤكده "أندريه لالاند" بقوله " تجدر الملاحظة أن «العلوم الإنسانيّة» ليست كل العلوم المختصة بالإنسان: مثلا، لا تسمى بهذا الاسم علوم التشريح أو الفيزيولوجيا البشرية إنها العلوم التي تميز الإنسان في مقابل بقية الطبيعة[2] "

إذا العلوم الإنسانية نشأت بهدف إعادة الاعتبار للإنسان، حيث خصته بدراسة سلوكاته وتصرفاته ومحاولة تحليلها فرديا أو داخل دائرة المجتمع، بمعنى تحليل سلوكيات اجتماعية تطبع الإنسان على وجه العموم، إذ نجد قول "إبراهيم مذكور" في معجمه الفلسفي يفسر ذلك علوم تختص بدراسة تصرفات الناس وسلوكهم أفرادا كانوا أو جماعات فهي علوم تبحث في كل ما يتصل بالإنسان وتقابل العلوم الطبيعية[3]"

٣/النظام المعرفي) :الإبستيمي (l'épistémé)(

إن الإبستيمي أو الإبستيمية أو النظام المعرفي كلها مسميات إذ هو مصطلح أو مفهوم فلسفي يعبر عن مجموعة من المعارف والمفاهيم التي تشكل نظاما معرفيا معينا في فترة زمنية محددة، إذ يعود هذا المصطلح للفيلسوف الفرنسي " ميشال فوكو " الذي استخدمه لتحليل كيفية تشكل المعرفة و أنظمة التفكير عبر التاريخ، إذ نجد في كتابه " الكلمات والأشياء "أنه قدم مفهوم الإبستيمي ليوضح كيف تتغير الأطر المعرفية والفكرية على مر

[1]أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول، تعريب خليل أحمد خليل، إشراف أحمد عويدات، ط2،منشورات عويدات، بيروت، باريس، 2001،ص1254

[2]نفس المرجع السابق، ص1254

[3]إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون الطابع الأميرية، القاهرة، مصر، د، ط1983ص127

العصور، كما لابد من التوضيح بأن" الإبستيمي " ليس مجرد مجموعة من الأفكار أو النظريات بل هو طريقة شاملة للفهم والتفكير تهيمن على فترات تاريخية معينة ..

يقول " ميشال فوكو " « إن الإبستيمي إذن هو مجموع العلاقات المترابطة التي بإمكانها أن توحد في فترة معينة بين الممارسات الخطابية التي تفتح المجال أمام أشكال ابستيمولوجية وعلوم، إضافة إلى ما سبق يمكن اعتبار الإبستيمي مجموعة العلاقات التي يمكننا الوقوف عليها في فترة ما بين العلوم حينما نحلل مستوى انتظاماتها الخطابية[1] .»

و الإبستيمي أيضاً هو « مجموعة العلاقات التي يمكنها أن تجمع في مرحلة معطاة الممارسات المقالية التي تتضمن أوجه ابستمولوجية عدة في مجال العلوم المرتبطة بأنساق مكونة»، و من جهة أخرى هو ليس« شكلا من أشكال المعرفة أو نمطا من أنماط العقلانية يظهر وحدة موضوع البحث في فكر معين أو مرحلة معينة من خلال اختراقه لمجالات العلوم المختلفة، بل هو مجموع العلاقات التي يمكن أن نكتشفها في مرحلة معطاة بين العلوم عندما نقوم بتحليلها في مستوى الانتظامات المقالية[2].«

أي أن الإبستيمي تعني مجموع المقولات الموضوعية التي تحدد الانفتاح على المعارف المختلفة في العصر الواحد، بمعنى آخر أن أي فكرة لا توجد هكذا في الفراغ في شكل مستقل منفصل عن باقي الأفكار الأخرى بل أنها تدور في فلك معين تتشابك فيه وتترابط مع أفكار أخرى، هذا الفلك يسمى بالمجال الابستمولوجي يقول فوكو:« في ثقافة معينة وفي لحظة معطاة لا توجد إلا ابستيمي واحدة تقوم بتحديد شروط كل معرفة وامكانيتها[3] .«

بالإضافة للمفاهيم التي تم ذكرها سابقا نجد أيضاً: مفهوم الأركيولوجيا، الجنيالوجيا، اللغة، نجد هذا الكتاب مزود و فيه عدة مفاهيم استخدمها هذا الفيلسوف الفرنسي .

٣/نقد و تقييم الكتاب :

١/آراء بعض الكتاب حوله :

[1]ميشال فوكو، حفريات المعرفة، ص176.
[2]د. عمر مهيبل، من النسق إلى الذات، ص41 .
[3]ميشال فوكو، الكلمات والأشياء، ص179.

إن كتاب " الكلمات والأشياء " للفيلسوف الفرنسي "ميشال فوكو" هو عمل فلسفي معقد وله تأثير كبير في مجالات الفلسفة والعلوم الإنسانية، بحيث تلقى الكتاب آراء وردود أفعال متنوعة من النقاد والمفكرين، سأقدم ملخصا لبعض ما قدمه هؤلاء الكتاب والنقاد حول هذا الكتاب .

أ/ردود الأفعال:

ردود جان بول سارتر :

إنه الفيلسوف الوجودي جون بول سارتر الذي هاجم أعمال الفيلسوف الفرنسي " ميشال فوكو"، من بينها كتاب " الكلمات والأشياء " الذي لم يقرأه بل اطلع على ملخصات قامت بها مجلة « الأزمنة الحديثة» التي كان يديرها، و من أهم ردوده ما يلي :

ينتقد سارتر مفهوم الأركيولوجيا ويعده مجرد جيولوجيا أو تنقيب لا يمكن أن نستخدمه في مجال الفكر، وان فوكو لا يقدم لنا تفسيرا مقبولا للكيفية التي ينتقل فيها الفكر من نسق أو منظومة إلى منظومة أخرى، وعن التحولات والتغيرات التي تحدث خلال عملية انتقال هذه وكأن فوكو يقدم لنا صورا متحركة لا رابط بينها، يقول:« إن فوكو يقدم للناس ما هم بحاجة إليه، أي مزيجا أو خليطا انتقائيا نجد في إطاره أن روب غرييه و البنيوية و الألسنيات ولا كان وتيل كيل قد استخدمت بالتناوب لتبيان استحالة أي تفكير تاريخي[1].

إن المستهدف من وراء التاريخ هو الماركسيّة بالطبع، إذ أن الأمر يتعلق بتشكيل ايديولوجيا جديدة تكون بمثابة الحاجز الأخير الذي يمكن البرجوازيّة أن تقيمه ضد ماركس[2]«

و كما هو واضح فان سارتر يتهم فوكو صراحة بأنه خادم أمين للبرجوازيّة، ذلك أن القول بثبات الأنساق المعرفية، وبوجود قطيعة بين نسق وأخر في المستوى الفلسفي يقابله حب المحافظة على الوضع الاجتماعي السائد، وهذا ما تهدف إليه البرجوازيّة .

[1] د. عمر مهيبل، البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، ص91.
[2] Jean Paul sartre répond: in revue larc N2 30 1966,p. 87-88

وعندما سئل عما إذا كان يرفض البنيوية ككل، أجاب بأنه يتفهم وضع البنيوية ويتقبله متى بقيت في حدود المنهج، أما إذا تخطت ذلك، فإنها تتخطى حدود شرعيتها، فالبنيات لا توجد من عدم، وانما هناك من أوجدها إلا وهو الإنسان .

ردود ميكال ديفران :

ينتقد هو الآخر ميشال فوكو خاصة في فكرة " موت أو اختفاء الإنسان "، فعلا قد يكون إعلان فوكو عن قرب نهاية الإنسان مجرد صيحة ابستيمولوجية دافعها الأول والأساسي العمل على إبعاد النزعة الايقانية عن العلوم الإنسانية، وبعث نفس جديد في أوساط المشتغلين بها، ودفعهم لمحبة العلم و الموضوعية لكن كل هذا لا يشفع له لدى ميكال ديفران[1]

الذي انتقده انتقادا حادا إلى جانب البنيويين الآخرين في كتابه الموسوم باسم «دفاع عن الإنسان» حيث رد بقوه على تلك النزعة اللاإنسانية التي طبعت الفلسفة المعاصرة ككل، وركز تركيزا خاصا على فوكو[2] .

يقول ديفران:« إن الفلسفة المعاصرة لا تعتد بالإنسان كما أنها لا تتخذ منه موضوعا للتفكير وليس ذلك بسبب صعوبة خاصة تكتنف هذا الموضوع، بل أنها لا تعترف بوجوده أصلا، صحيح أنها تحترم بوجود كائنات إنسانية، أما فكرة الإنسان فهي خرافة نشأت عن أفكار جوفاء مسبقة[3] .«

ردود روجيه غارودى :

وجه غارودى انتقادات هامة لفوكو، نستطيع أن نلخصها في نوعين من الاعتراضات: اعتراضات وقائعية و اعتراضات مبدئية .

بخصوص الاعتراضات الوقائعية يرى أن الأسس التاريخية التي شيد فوكو على أساسها بنيانه البراق هشة للغاية، إذ لكي ينشئ الاركيولوجيا ولكي يصوغ قانون الحالات

[1] ميكال ديفران: كاتب و فيلسوف فرنسي ذو نزعة إنسانية .
[2] د. عمر مهيبل، البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، ص95.
[3] Mikel dufrenne: la philosophie de néo-positivesme, in esprit, mai1967,p781.

الثلاث في شكل منهجي كامل لم يكن له من مفر إلا تحريف وقائع التاريخ و التسلسل الزمني، أي أنه سعى إلى القيمة العلمية دون أن يقرأ حساب القيمة التاريخية .

أما الاعتراضات المبدئية فهي على جانب كبير من الأهمية كما يؤكد غارودى إذ يرى أن فوكو لا يخبرنا كيف يتم بناء الفكر ولا كيفية الانتقال من فكر لأخر، والغريب في «الكلمات والأشياء» كما يلاحظ هو أن فوكو عندما يصف ظاهرة من الظواهر بارتباطاتها البنائية، تأتي وكأنها خارج الإطار البشري الخاص بها، وبعيدة كل البعد عن ممارسهم وتاريخهم[1] .

ردود فرانو شاتليه :

يرى أن مشروع « الكلمات والأشياء» ثلاثي الوجوه :

١_انه أركيولوجيا و دراسة نسائيات تسعى إلى إعادة تشكيل ذاتها من خلال مؤلفات المتمرسين أو المنظرين .

٢_انه بحث أو تقص يحاول أن يكشف عن الوجود أو عن دلالة المؤلفات التي يهمها تاريخ الثقافة على الدوام (وذلك في مختلف الفروع الأدبية و العلمية .(

٣_انه نقد سنعرف من خلاله انطلاقا من أية أفكار ومن أي نسق للأفكار تتكون أو تتشكل هذه العلوم الإنسانية«الشهيرة التي تتوسع بطريقة جد مغضبة ومثيرة[2] .«

و يرى شاتليه أن العمل الناجح والجيد هو ذلك العمل الذي يتوفر على مجموعة من العناصر تتفاعل فيه لتخرجه على الوجه الأكمل، وأهمها: الصرامة والأصالة والإلهام، وكتاب فوكو لا تنقصه هذه العناصر، بل انه يمثلها أحسن تمثيل. لقد حمل فوكو على عاتقه و بشجاعة مهمة وصف تفرعات المعرفة وتحليلها، واتخذ لنفسه طريقا يختلف عن

[1] د. عمر مهيبل، البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، ص100/99

[2] François châtelet: l'homme ce narcisse incertain, in la quainzaine Littéraire, N2/1Avril 1966,p. 19.

طريق الفلاسفة السابقين، مثاليين كانوا أو ماديين، إيمانا منه أن العمل الفلسفي إبداع بالدرجة الأولى وقد أبدع فعلا[1] .

ردود فرانسو افال :

في كتابه « البنيوية في الفلسفة» يذكر فرانسو أفال بالأهمية القصوى التي يمثلها كتاب « الكلمات والأشياء» والتحليلات العميقة و الجذرية التي يضمها بين طياته، وقد استحوذ مفهوم «الابستمي» على القسط الكبير من إعجابه، يرى فال أن فوكو يبين لنا كيف أن ابستمى معينة يمكن أن تولد الإشكالية الإجمالية لمرحلة تاريخية معينة، وإمكانية طرحها ميتافيزيقيا، لذلك« وانطلاقا من هذه النقاط فحص الروابط بين ابستمى الرومانسية وبين التساؤل الفلسفي الذي يمتد من نقدية كانط إلى فلسفة هوسرل[2] .«

لقد وضع فوكو إصبعه على نقطة هامه تعد بمثابة النواة الإبستمولوجية، والتي أمسكت باهداب الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة، هذه النواة هي: البحث عن الأساس في كائن متناه .

و إذا كان الإنسان حسب فوكو لا يستطيع أن يفكر بحرية تامة لوقوعه تحت تأثير ثلاثي: العمل(علم الاقتصاد)، والحياة(علم الحياة) واللغة (علم اللغة)، فهذا يؤدي حسب فال الى جعل وظيفة الإبستمى طيلة القرن التاسع عشر ثلاثية الشكل قاعدتها الوضعية وأضلاعها النقد والميتافيزيقا. إن الكلمات والأشياء يوجه لنا خطابا مزدوجا[3] .

ردود ادوار موروسير :

يرى ادوار موروسير أن كتاب « الكلمات والأشياء»(يقدم لنا، بعد مرآة الجنون، مرآة العقل، حيث نستطيع متابعة تأملنا. ولكن فوكو يرفض أن نصف محاولته بكلمة تاريخ[4] .

---

[1] د. عمر مهيبل، البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، ص106/105

[2] François Whal: Qu`est-ce que le structuralisme N5 philosophie, éditions du seuil, paris, 1963,p. 90.

[3] د. عمر مهيبل، نفس المرجع السابق، ص107/106

[4] ادوار موروسير، الفكر الفرنسي المعاصر، ترجمة: الدكتور عادل العوا، منشورات عويدات بيروت، باريس، الطبعة الاولى، نيسان(افريل)، 1978،ص150.

اذ أن فوكو يفتح لنا مجالات معرفية متعددة لم يتم ارتيادها بعد، وهذا ما نستطيع تسميته بالحقل الابستمولوجي» لدى ميشيل فوكو، لقد وصف لنا التحولات المباغتة التي تحدث في الساحة المعرفية والتي يبدو معها الإنسان محدودا في مجالات معينة كتلك التي حددها نظام الأشياء في العصر الكلاسيكي وهي القواعد العامة وتحليل الثروات والتاريخ الطبيعي[1].

أما فيما يتعلق بالمنهج الذي اتبعه فوكو في سبيل أركيولوجيته الخاصة، فان مورو سير يتمنى أن يجعله أكثر صرامة وأكثر دقة، و ان يكون كعالم الآثار الحقيقي الذي يتجلى فيه. الفضيلتان الرئيسيتان: وهما الاستمرار والصبر ولكننا نتفطن لحالات الاستعجال و نفاذ الصبر لدى (فوكو)، وهذا ما يشاهد كذلك لدى كل رائد يستبق غيره الى اكتشاف المجال الثقافي[2] .

[1]د. عمر مهيبل، نفس المرجع السابق، ص108
[2]ادوار موروسير، نفس المرجع السابق، ص152

الخاتمة

الخاتمة :

و كحوصلة لما سبق ذكره في بحثنا يمكننا القول أن ميلاد العلوم الإنسانية قد اقترن فعليا بعصر النهضة الأوروبية وما رافقها من انعطاف في مستويات الوعي وقفزة ثقافية وفنية، ومعها تطور لترسانة العلوم وحقول المعارف بكل اتجاهاتها، وهذا ما ساعد على ظهور الاهتمام بعلوم الإنسان على الصعيد الأنثروبولوجي و التاريخي و النفسي و الثقافي، كوجه من وجوه هذا التحول الذي مثل المنظومة المعرفية في أوروبّا الأمر الذي جعل الإنسان في محور هذا المنعطف تماما كما جاء في نظرية أو فكرة موت الإنسان عند ميشال فوكو الذي جعل منه هو الآخر موضوعا للدراسة والنقد والتمحيص عكس ما كان سائدا ورائجا من قبل، لتكتسي بذلك العلوم الإنسانية ثوبا ابستمولوجيا مغايرا يعكس التراكمية العلمية التي تفتح أبواب الاجتهاد أمام المزيد من المتغيرات. وهذا ما سعى ميشال فوكو إلى بيانه في طرحه المتعلق بموت الإنسان من خلال التطرق إلى البنية الأنثروبولوجية والآركيولوجية والنفسية التي شكلت مراحل متفاوتة في مسألة تطور علوم الإنسان حتى اكتمال بنيتها الحالية مع ميشيل فوكو، والتي تعتبر لحظة فارقة في تاريخ العلوم الإنسانية عامة، إضافة إلى ذلك كتاب " الكلمات والأشياء " لهذا الفيلسوف الفرنسي حقيقة هو كتاب ناجح رغم ماوجه له من إنتقادات، إلا أنه استطاع أن يفرض وجوده في الساحة الفكرية الغربية،ففوكو من خلاله أراد أن يقدم لنا مرآة العقل وأراد توضيح ما كان غامضا ومطموسا، فهو كتاب ساهم في فتح آفاقا جديدة للتفكير في تاريخ المعرفة، كذلك لابد من القارئ أي من أراد الإطلاع على أفكار هذا الفيلسوف لابد له أن يمتلك مستوى عال من الفهم الفلسفي والنقدي، فما أقوله هو أنه رغم ما وجه إلى هذا الكتاب من انتقادات إلا أن هذا الفيلسوف الفرنسي" ميشال فوكو "نجح في تقديم منظور جديد يعزز من فهمنا لكيفية تشكل المعارف الإنسانية عبر التاريخ

المصادر والمراجع

أ_المصادر :

1_ميشيل فوكو، الكلمات والأشياء،تر: مطاع صفدي و آخرون، مركز الإنماء القومي، بيروت،(د ط)، 1989م .

2_ميشيل فوكو، جينيالوجيا المعرفة، تر: أحمد السطاتي و عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب،(د ط)، 1988م .

3_ميشيل فوكو، حفريات المعرفة، تر: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1987 م.

4_ميشيل فوكو، هم الحقيقة، تر: مصطفى المسناوي و آخرون، سلسلة بيت الحكمة، ط1،الجزائر العاصمة، 2006م .

5_فريديريك نيتشه، في جينيالوجيا الأخلاق، تر: فتحي المسكيني، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010م .

ب_المراجع :

1_إدوار موروسير، الفكر الفرنسي المعاصر، تر: عادل العوا، منشورات عويدات، ط1،بيروت باريس، 1978م .

2_الزواوي بغورة، ميشال فوكو في الفكر العربي المعاصر، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2001 م.

3_أبي الحسن علي بن علي الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تر: ابراهيم العجر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

4_السيد حسيني، المدينة، علم الاجتماع الحضري، القاهرة، دار المعارف، ط3، 1985 م.

5_السيد ولد آباه، أعلام الفكر العربي، الشبكة العربية للأبحاث و النشر، ط1،بيروت .

6_برتراند راسل، حكمة الغرب،الجزءالثاني، تر: فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة،(د ط)، الكويت، 1973م .

7_بول موي، المنطق و فلسفة العلوم، تر: فؤاد زكريا، مؤسسة هنداوي، 2022م .

8_جون سكوت، خمسون عالما إجتماعيا أساسيا المنظرون المعاصرون، تر: محمد محمود حلمي، الشبكة العربية للأبحاث و النشر، ط1،بيروت، لبنان، 2009م.

9_حمود ابراهيم حمود السلامة، الفلسفة الحديثة و نشأتها، جامع الكتب الإسلامية، المجلد 1.

10_حسين عبد الفتاح، تاريخ أوروبا الحديث و المعاصر، دار المؤرخ، السعودية، 2007م .

11_شرف محمد جلال، محمد قاسم، قراءات في فلسفة العلوم الطبيعية و الإنسانية، دار المعرفة الجامعية، مصر .

12_صلاح قنصوة، الموضوعية في العلوم الإنسانيّة، دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع، ط2،بيروت .

13_عبد السلام شرماط، النهضة الأوروبية بين الإصلاح الديني و النزعة الإنسانيّة، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للأبحاث و الدراسات، مارس، 2014م .

14_عمر مهيبل، البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر .

15_عمر مهيبل، من النسق إلى الذات، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2007م.

16_علا مصطفى أنور، قضايا المنهجية في العلوم الإنسانيّة و الاجتماعية، المعهد العالي للفكر الإسلامي .

17_فرانسيس بيكون، الأورغانون الجديد، تر: منذر محمود محمد، دار الفرقد للطباعة و النشر و التوزيع، ط1،دمشق سوريا، 2016م .

18_فائق طهبوب و محمد سعيد حمدان، تاريخ العالم الحديث و المعاصر، ط2،الشركة العربية المتحدة، القاهرة، 2010م .

19_فريديريك غرو، ميشيل فوكو، تر: محمد وطفة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1،بيروت لبنان .

20_فاضلي إدريس، الوجيز في المنهجية و البحث العلمي .

21_محمود فهمي زيدان، الإستقراء و المنهج العلمي، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، مصر، 1997م .

22_محمد وقيدي، العلوم الإنسانيّة و الإيديولوجيا، دار الكتب العلمية، ط3،بيروت، لبنان، 2011م .

23_محمد عابد الجابري، المنهاج التجريبي و تطور الفكر العلمي، الجزء2،دار الطليعة للطباعة و النشر، ط2،بيروت لبنان، 1982م .

24_محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم، العقلانية المعاصرة و تطور الفكر العلمي، مركز دراسات الوحدة العربية .

25_محمد أنور حامد عيسى، نظريات في المنطق و مناهج البحث دار المحمدية للنشر، ط2،

م. 1996

26_مراسلات ماركس إنجلترا1973، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة و النشر، ط1،لبنان .

27_نادر كاظم، تمثيلات الآخر، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط1،بيروت، 2004م .

28_ويليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، تر: محمود سيد محمد أحمد، التنوير للطباعة و النشر و التوزيع، ط1،بيروت، 2010م .

29_يمنى طريف الخولي، مشكلة العلوم الإنسانيّة و تصنيفها و إمكانية حلها، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة .

ج_المعاجم و القواميس :

1_ابراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية،(د ط)، مصر 1983م .

2_أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد 1،تر: خليل أحمد خليل، الجزء الثاني، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2،

م. 2001

3_جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1،دار الكتاب اللبناني،(د ط)، لبنان 1982م .

4_جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة المناطقة اللاهوتيون المتصوفون، دار الطليعة، ط1،بيروت لبنان، 2006م .

5_مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة مصر، 2007م .

ح_المواقع الإلكترونية :

الإعلام الإلكترونية، 2017م .

, marefa, org2018

د_المجلات :

1_جاري جوتنج، ميشيل فوكو، تر: محمد سعد أمين، موسوعة ستانفورد للفلسفة، 2009/1/1

2_غاري غولتينق، ميشيل فوكو، تر: يوسف الصمعان، موسوعة ستانفورد، مجلة الحكمة من أجل اجتهاد ثقافيّ فلسفي، 2017/11/5م .

هـ_المراجع باللغة الأجنبية :

François châtelet: l'homme ce narcisse incertain, in la quainzaine littérature,N2/1Avril 1966,p.19.

François Whal, Qu'est-ce que le structuralisme N5philosophie, éditions du seuil, paris, 1963.P. 90.

Jean paul sartre répond in revue larc N 2 30 1966,p. 87-88.

Mikel dufrenne: la philosophie du néO-positivesme, in esprit, mai 1967,p. 781.

شكر و عرفان
إهداء
مقدمة.....أ- د
الفصل الأول: المفاهيم/المنهج.....10-15
المبحث الأول: شبكة المفاهيم..... 10
المبحث الثاني: المنهج المتبع في البحث.....14
الفصل الثاني: الوضعية الإبستمولوجية لعلوم الإنسان.....17-33
تمهيد 17
المبحث الأول: ماهية علوم الإنسان.....18
المبحث الثاني: السياقات المعرفية /السوسيوثقافية لظهور علوم الإنسان..... 20
المبحث الثالث: القيمة الإبستمولوجية لعلوم الإنسان (الموضوع /المنهج/المآل والمصير).....28
الفصل الثالث: تفكير العلوم الإنسانيّة في النسق الفلسفي عند " ميشيل فوكو" 35-77
تمهيد.....35
المبحث الأول: بيوغرافيا " ميشيل فوكو 36
المبحث الثاني: وضعية علوم الإنسان.....40
المبحث الثالث: أركيولوجيا العلوم الإنسانيّة قراءة في كتاب" الكلمات و الأشياء.....49
خاتمة.....79
قائمة المصادر و المراجع.....82
الفهرس.....86
الملخص.....87

الملخص :

إن الحديث عن مفهوم الإنسان كمركز للمعرفة لم يكن دائما موجودا خصوصا في العصور الكلاسيكية، و مع بداية القرن التاسع عشر و في العصر الحديث حدث تغير جذري،إذ بدأ الاهتمام بهذا الكائن البشري خصوصا مع ظهور علوم أعادت له الاعتبار ودرسته من جميع جوانبه و بكل ما يحيط بمفهوم الإنسان، ألا و هي " علوم الإنسان " فمن هنا تحول الإنسان من دارس إلى مدروس أي تحول إلى موضوع للدراسة مثله مثل الأشياء الأخرى، بالإضافة إلى ذلك نجد بعض الفلاسفة من اهتموا بهذه المواضيع (الإنسان والعلوم الإنسانيّة)، نجد الفيلسوف الفرنسي " مشيل فوكو " الذي تحدث عن مفهوم الإنسان وجاء بفكرة " موت أو اختفاء الإنسان "، كذلك حديثه عن العلوم الإنسانيّة من خلال مؤلفه" الكلمات والأشياء "الذي حلل فيه تطور الفكر البشري و تغير النظرة إلى الإنسان في علوم الإنسان .

الكلمات المفتاحية :

الإنسان، ميشيل فوكو، علوم الإنسان، موت الإنسان، الكلمات والأشياء .

Abstract:

The discussion about the concept of man as the center of knowledge has not always existed, especially in classical times. With the beginning of the nineteenth century and in the modern era, a radical change occurred, as interest in this human being began to grow, particularly with the emergence of sciences that restored his significance and studied him from all angles and in relation to the concept of humanity, namely “human sciences.” Thus, the human being shifted from being a student to being studied, becoming a subject of study just like other objects. Additionally, we find some philosophers who focused on these topics (human beings and human sciences), such as the French philosopher Michel Foucault, who discussed the concept of man and introduced the idea of the “death or disappearance of man.” He also addressed human sciences in his work “The Order of Things,” in which he analyzed the evolution of human thought and the changing perspective on man within human sciences.

Keywords: